

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثالث فى علم البيان

الطبعة العاشرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م وتمتاز بكثير من الزيادات والتنقيحات والضبط

تنبيه : قد وضعنا « الإيضاح » للخطيب القزوينى بأعلى الصفحة
ووضعنا شرحه « بغية الإيضاح » لعبد المتعال الصعدي بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر

الناشر مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

رقم الإيداع : ١٤٥٨٦ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولي : 6 - 289 - 241 - 977 I.S.B.N.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثاني : علم البيان

تعريف علم البيان : وهو علم يُعرف به إيرادُ المعنى الواحد ^(١) بطرقٍ

(١) قيده السعد بأن يكون مدلولاً عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، وإنما قيده بهذا لأن اعتبار علم البيان إنما يكون بعد اعتبار علم المعاني ؛ فلا بد من مراعاة علم المعاني في علم البيان ؛ فإذا أنكر شخص كرم زيد مثلاً قلت له بطريق الكناية : « إن زيدا كثيراً الرماذ » ، فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعتد بهذه الكناية . وقيل المراد جنس المعنى من غير تقييد بشيء ؛ لأن وظيفة علم البيان غير وظيفة علم المعاني ؛ فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، ووظيفة الثاني ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق في المقدمة أنه لا بد من اعتبار الفصاحة في البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر في العلمين بعكس ما ذكره السعد فيهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر في قول امرئ القيس مثلاً :

ألم تسأل الربيعَ القديمَ بعسعسا كأنى أنادى إذ أكلمَ آخرسا

من جهة مطابقتها لمقتضى الحال أو عدمها ، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التشبيه ؛ لأنه لا يقال : « كلمت حجراً فلم يجب » فكأنه كان حجراً ؛ وإنما الجيد في ذلك قول كثير :

فقلتُ لها يا عزُّ كلِّ مُصيبة إذا وطئت يوماً لها النفسُ ذلتُ
كأنى أنادى صخرةً حينَ أعرضت من الصمِّ لو تمشى بها العُصمُ زلتُ

وهذا لا يمنع مراعاة الأحوال والظروف في أبواب علم البيان ، كما أتى القدماء بتشبيهات رغب المحدثون عنها استبشاعاً لها ؛ كقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع طبى أو مساويكُ إسحل

فشبه البنان بالأسروعة ؛ وهى دودة تكون في الرمل ، وقال ابن المعتز :

أشرن علي خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

وهذا أحب من تشبيه امرئ القيس ، وإن كان أشد إصابة ، ولكن يجب أن نقبل من هذا ما لا يمجح الذوق ؛ مثل قولهم : « أعط القوس باريها » ؛ كما يقال في الإنجليزية الآن لمن يبالغ في كلامه : « ينزع في القوس الطويلة » ، وفي الفرنسية لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة : « يبرى سهاماً من كل خشب » .

مختلفة في وضوح الدلالة عليه (١) .

أقسام الدلالة : ودلالة اللفظ إما على ما وُضِعَ له ، أو على غيره ، والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف ، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان . وتُسمَّى الأولى دلالةً وضعيّة ، وكلُّ واحدة من الأخيرتين دلالةً عقلية ، وتختص الأولى بدلالة المطابقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام . وشرط الثالثة اللزوم الذهني ؛ أي أن يكون حصول ما وُضِعَ اللفظ له في الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه (٢) ؛ لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حيثئذ كنسبة سائر المعاني الخارجيّة ، ولا يُشترط في هذا اللزوم أن يكون مما يُثبت العقل (٣) ؛ بل يكفي أن

(١) بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح ، وبهذا يكون الاختلاف بينها في حدود وضوح الدلالة ؛ لأن علم البيان يُقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي فلا يُطلب فيه إلا وضوح الدلالة ؛ وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وخفائها ؛ فحذف الثاني على سبيل الاكتفاء ، وقد دُجِحَ هذا بأن المطلوب في علم البيان هو خفاء الدلالة لا وضوحها ؛ لأنه كلما كان الكلام خفيّ الدلالة كانت منزلته أعلى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد ، واختلاف تلك الطرق في ذلك يكون باعتبار قرب المعنى المجازي وبعده من المعنى الحقيقي ، وباعتبار اختلاف القرينة المنسوبة في دلالتها على المراد .

وقد خرج بذلك عن تعريف علم البيان إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة ؛ كقولك : زيد أسدٌ . زيد ليثٌ .

ومن الاختلاف في طرق الدلالة أن يقال في الكناية عن الجود : « مهزولُ الفصيل ، جبانُ الكلب ، كثيرُ الرماد » ، وفي إيراده بطريق التشبيه : « وهو كالبحر في السخاء . أو بحرٌ في السخاء . أو بحرٌ » ؛ من غير ذكر وجه التشبيه ، وفي إيراده بطريق الاستعارة : « رأيت بحراً في دارنا . رأيت بحراً طمَّ بإنعامه جميع الأنام » .

(٢) يعني بالخارج : المعنى الخارجى ، وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل في القرائن والأمارات .

(٣) معنى اللزوم البين المعتبر في علم المنطق ، وإنما لم يُعتبر هنا لأن اعتباراً يُخرج =

يكون مما يُثبت اعتقادُ المخاطب إما لعرف عام أو لغيره ^(١) لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الخارجي ، وقد وقع في كلام بعض العلماء ^(٢) ما يُشعر بالخلاف في اشتراط اللزوم الذهني في دلالة الالتزام ، وهو بعيد جداً ، وإن صحَّ فلعلَّ السبب فيه توهمٌ أنَّ المراد باللزوم الذهني اللزوم العقلي ^(٣) ؛ لإمكان الفهم بدون اللزوم الذهني بهذا المعنى حيثئذ كما سبق .

ثم إيرادُ المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ^(٤) ؛ لأنَّ السامعَ إن كان عالماً بوضع الألفاظ ؛ لم يكن بعضها أوضح دلالةً من بعض ، وإلاَّ لم يكن كلُّ واحد منها دالاً ، وإنما يتأتى بالدلالات العقلية ؛ لجواز أن يكونَ للشيء لوازمٌ بعضها أوضح لزوماً من بعض ^(٥) .

= كثيراً من المعاني المجازية عن أن تكونَ مدلولات التزامية ، ولا يتأتى معه الاختلاف في وضوح الدلالة ؛ لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل اللزوم في الذهن أصلاً .
(١) يعني بغير العُرف العام العرف الخاصَّ ودلالة المقام ، والتأمل في القرينة ، ومثال العرف العام : لزوم الشجاعة للأسد ، ومثال الخاص : لزوم عدم قبول النجاسة لبلوغ الماء قُلَّتَيْن .

(٢) هو ابنُ الحاجب .

(٣) هو اللزومُ البينُّ المعتبرُ في علم المنطق كما سبق .

(٤) أى في دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما في الألفاظ المترادفة ، وقد يتأتى فيها الاختلاف في الوضوح بالتعقيدات اللفظية ، ولكن هذا ليس من الاختلاف في طرق الدلالة ، واعتُرضَ على ذلك بأنه يلزم عليه خروج التشبيه من علم البيان ؛ لأنَّ دلالةً وضعيةً ، وقد أجاب بعضهم بالتزام خروج التشبيه من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستعارة عليه . والحق أن الإيراد المذكور يتأتى في التشبيه أيضاً كما سبق ؛ فلا يصح إخراجه من علم البيان ، وإنما أتى فيه الإيراد المذكور ؛ لأنَّ التشبيه في نحو : «زيد كالبدْرِ» له دالتان : إحداهما وضعية في دلالة على تشبيه وجهه بالبدْرِ في الاستدارة والاستدارة ، والثانية التزامية في دلالة على أنه غاية في الحسن ، بهذه الثانية يأتى فيه الإيراد المذكور . وقيل : إنَّ المراد بإتيان ذلك في العقلية ما يشمل إتيانه فيها وحدها أو مع الوضعية ؛ لأنَّ الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٥) يكون هذا باعتبار قلة الوسائط وكثرتها بين اللازم والملزوم ونحو ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة ، وكذلك دلالة التَّضَمُّن ؛ لأنها قد تدل على جزء الشيء أو جزء =

أبواب علم البيان :

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له : إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية . ثم المجاز منه الاستعارة ، وهى ما تبتنى على التشبيه ، فيتعين التعرض له (١) .

فانحصر المقصود فى : التشبيه ، والمجاز ، والكناية .

وقدّم التشبيه على المجاز ؛ لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجاز على التشبيه ، وقدّم المجاز على الكناية ؛ لتزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل (٢) .

= جزئه ، ودلالتها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالتها على الثانى كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذكر هنا مبحث الدلالة ؛ ليرتب عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعانى فترجع إلى نظم الكلام وأسلوبه .

(١) هذا ظاهر فى أن التشبيه لا يدخل فى البيان إلا تبعاً للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق فى ذلك ، على أن ابن الأثير قد ذكر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز ؛ لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيّق إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة ، وقد نازعه بعضهم فى صحة هذا النقل عن الجمهور .

وقد قسم الرّمائى التشبيه إلى حقيقى ومجازى ؛ فالأول تشبيه المتفقين بأنفسهما ؛ كتشبيه حمرة الخد بحمرة الورد ، والثانى تشبيه المختلفين بالذات ؛ كتشبيه زيد بالأسد .

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقياً ؛ لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملزوم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم كما سيأتى .

هذا وقد ذكر السعد أن الأولى أن يعرف البيان بأنه « علم يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام فى الدلالة وما ترتب عليه » . وفى نفسى شئ من هذا التعريف ؛ إذ أن التعريف يُبنى على الشمول ، ولا يكون بهذا التفصيل . ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تعد قديماً من البديع ، وكان يجرى عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ؛ لأنها لا تُطلب لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

الباب الأول : القول فى التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى ^(١) ، والمراد بالتشبيه ههنا ^(٢) ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ^(٣) ؛ فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف ؛ وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ؛ كقولنا : « زيدٌ كالأسد ، أو كالأسد » بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يُسمى تشبيهاً على المختار كما سيأتى ^(٤) وهو ما حُذفت فيه أداة التشبيه وكان اسمُ المشبه به خيراً للمشبه أو فى حكم الخبر ^(٥) كقولنا : « زيد أسد » ، وكقوله تعالى ﴿ صَمُّكُمْ عُمَى ﴾ ^(٦) أى هم . ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أسدٌ على وفى الحروب نعمةً فتخاء تنفر من صغير الصافر ^(٧)
وكقولنا : « رأيتُ زيداً بحراً »

تأثير التشبيه : وإذا قد عرفت معنى التشبيه فى الاصطلاح ؛ فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة ^(٨) ، وأن تعقيب المعانى به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك ، وإن أردت تحقيق هذا ، فانظر إلى قول البحرى :

(١) هذا معنى التشبيه فى اللغة ، ويرد على هذا أنه يشمل نحو : « قاتل زيد عمراً ، وجاءنى زيد وعمر » ؛ فالأحسن أن يقال فى معناه لغةً : إنه مصدر « شهبته بكذا » إذا جمعت بينهما بوصف جامع وهذا لا يرد عليه ذلك ؛ لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف ، لا بذلك الوصف الجامع .
(٢) يعنى التشبيه الاصطلاحى .
(٣) فهو فى الاصطلاح : الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بالكاف ونحوها ، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد ، وإنما لم يذكر الاستعارة التخيلية مع الثلاثة لأنها عنده فى الإثبات كما سيأتى ؛ فهى خارجة عن جنس التعريف ، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبئ عن التشبيه كقولك : « لى من فلان صديق حميم » ، فإذا كان على وجه ينبئ عنه فالأقرب جعله منه ؛ كقولك : « لئن سألت فلانا لتسألن به البحر » .
(٤) فى تعريف الاستعارة .

(٥) كالحال ونحوه ؛ كقولك : « رأيتُ زيداً بحراً » . (٦) البقرة آية ١٨ .

(٧) نسب فى الأغاني لعمران بن حطّان ، ونسب فى حماسة البحرى لأسامة بن سفيان البجلي ، وفيه « ربداء » بدل « فتخاء » والفتح : استرخاء المفاصل ولينها ، والريدة : لون يميل إلى الغبرة ، والشاهد فى أنه على تقدير : هو أسد .
(٨) يريد بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

دان على أيدى العُقاة وشاسعٌ عن كل ندٍّ في الندى وضريب^(١)
 كالبدْر أفرط في العلوِّ وضوءه للعُصبة السَّارين جدُّ قريب^(٢)
 أو قول ابن لنكك :

إذا أحرَّ الحُسن أضْحَى فعله سَمجاً رأيتُ صورته من أقبح الصُّور^(٣)
 وهبه كالشَّمس في حُسن ألم ترنا نفرُّ منها إذا مالت إلى الضَّرر؟^(٤)
 أو قول ابن الرومي :

بذلَّ الوعد للأخلاء سَمحاً وأبى بعدَ ذاك بذلَ العطاء
 فعداً كالخلاف يُورِقُ للعِيْـ من ويأبى الإثمار كلَّ الإباء^(٥)
 أو قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشرَ فضيلة طويتَ أتاحَ لها لسانَ حَسود^(٦)
 لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العود^(٧)

(١) العُقاة : جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والند : المشيل والنظير ، وعطف ضريب عليه عطف تفسير .

(٢) السَّارون : السائرون ليلاً ، وقوله « جدُّ قريب » صفةٌ لمحذوف أى قريب جد قريب بمعنى بالغ الغاية في القرب ، وهو مصدر جدُّ أى اجتهد وبالع في أمره ، شبه هيئة رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه والارتفاع به ، والجامع : الهيئة الحاصلة من بعد المنال مع قرب النوال . (٣) السمع : القبيح .

(٤) قوله « هبه » بمعنى أحسبه وأعدده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ، ورؤى « وهبك » ؛ شبه حال من حسنت صورته وقبح فعله فكرهه الناس بحال الشمس نفرَّ منها إذا اشتد حرها ، والجامع أن كلاً يُكره لأذاه وإن حسن منظره . وابن لنكك هو محمد بن محمد بن لنكك .

(٥) الخلاف : صنف من الصفِّصاف وليس به ، سمي خلافاً لأن السبل يأتي به سبباً فينبت من خلاف أصله ، شبه حال من وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال الخلاف في ذلك ، والجامع : ما في كلِّ منهما من اليأس بعد الطمع .

(٦) قوله « طويت » بمعنى أخفيت ، وقوله « أتاح » بمعنى هيا .
 (٧) العَرَفُ : الرائحة ، والعود : ضرب من الطيب يُتبخَّرُ به ، والمراد تشبيه هيئة الفضيلة مع الحسود بهيئة العود مع النار على سبيل التمثيل ، والجامع ما في كلِّ من ترتب النفع على محاولة الضرر .

وقوله أيضاً :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلَقٌ لِدَيَّابَجَتِيهِ فَاغْتَرَبَ يَتَجَدَّدُ^(١)

فإني رأيت الشمس زِيدَتِ محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد^(٢)

وقسْ حالك - وأنت في البيت الأول ولم تنته إلى الثاني - على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفت عليه ، تعلم بعد ما بين حالتك في تمكّن المعنى لديك ، وكذا تعهد الفرق بين أن تقول « الدنيا لا تدوم » وتسكّت وأنت تذكر عقبه ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ ، وَمَا فِي يَدِهِ عَارِيَةٌ ، وَالضَّيْفُ مَرْتَحِلٌ وَالْعَارِيَةُ مُدَّةٌ » . أو تنشّد قول لبید :

وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ^(٣)

وبين أن تقول : « أرى قوماً لهم منظر ، وليس لهم مخبر » وتقطع الكلام ، وأن تتبعه نحو قول ابن لنكك :

في شجر السرو منهم مثلٌ له رواءٌ وما له ثمرٌ^(٤)

وانظر في جميع ذلك إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في الحالة الأولى .

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسبابٌ : منها ما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفيٍّ إلى جليٍّ ؛ كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته . كما قيل :

(١) المخلَقُ : المَبْلَى ، والديباجة : الوجه ، والمراد بديباجتيه : صفحته ، ولهذا

أعاد الضمير عليهما في « يتجدد » مفرداً . وفي رواية « تتجدد » بالياء .

(٢) السرمد : الدائم ، والمراد تشييه هيئة المرء في اكتسابه المحبة بالاغتراب بهيئة

الشمس في اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

(٣) هو للبيد بن ربيعة العامري ، ويعنى أن ذلك ودايع الله عندنا .

(٤) الرواء : المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله في حسن المنظر وقبح المخبر .

* ما الحُبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ (١) *

أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كالانتقال من العقول إلى المحسوس؛
فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم
بالقصر : « يومٌ كأقصر ما يتصور » ، فلا يجد السامع له من الأئس ما يجده
لنحو قولهم « أيامٌ كأباهيم القطا » (٢) ، وقول الشاعر :

ظَلَلْنَا عند بابِ أبي نُعَيْمٍ بيومٍ مثلِ سالفَةِ الذُّبابِ (٣)

وكذا تقول : « فلانٌ إذا همَّ بالشئِ لم يزل عن ذكره » ، وقصر خواطره
على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئٌ « فلا يصادف السامع له أريحيةً ،
حتى إذا قلت :

* إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه (٤) *

(١) هو من قول أبي تمام :

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

نَقَلَ فَوَادَكَ مَا اسْتَطَعَتْ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

يريد أن الفؤاد لا يعيل إلا للحبيب الأول لإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد .

(٢) الأباهيم : جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٣) سالفَةُ الذُّبابِ : مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها في القصر ، وقد قال ثعلب :

كنا عند ابن الأعرابي فأنشد قول جرير :

ويومٍ كإبهامِ القِطَاةِ تخايلتُ ضُحَاهُ وطابتُ بالعِشَى أَصَائِلُهُ

فعجبنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القِطَاةِ ، فقال ابن الأعرابي : أحسن منه -

وهو الذي أخذ منه جرير - قول الآخر :

ويومٍ عند دارِ أبي نُعَيْمٍ قصيرٌ مثلِ سالفَةِ الذُّبابِ

وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية في الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه

المصيب ، وأنشد في «ديوان المعاني» لعون بن محمد بن إسحاق الموصلي :

ظَلَلْنَا فِي جِوَارِ أَبِي الْجَنَابِ بيومٍ مثلِ سالفَةِ الذُّبابِ

(٤) هو من قول سعد بن ناشب :

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ونكَّبَ عن ذكرِ العواقبِ جانباً =

امتلات نفسه سرورا ، وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : « أنظر هل حصل في كفى من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك » كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد .

ومنها الاستطراف كما سيأتي (١) .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة (٢) : نحو أن يعطيك من الزند بإيرائه (٣) : شبه الجواد والذكي والنجح في الأمور ، وبإصلاحه (٤) : شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي ، ومن القمر : الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام :

لهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت حتى تصير شمائلًا (٥)
لغداً سكونُهُما حجى وصباهُما حلماً وتلك الأريحية نائلًا (٦)
ولأعقبَ النجم المُرْدُ بديمةً ولعاد ذاك الطلُّ جوداً وإبلاً (٧)

= والشاهد في تشبيهه العزم بشئ محسوس يلقي أمام العينين بجامع العناية التامة بكل ، ولكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمه للمشبه .

(١) في بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل في سبب من أسباب تأثير التشبيه ، هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ؛ لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشئ واحد .

(٣) إخراج النار . (٤) صوت ولم يخرج ناراً .

(٥) اللهف : الحسرة ، والشواهد : أمارات الفضائل فيهما ، وكان يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد ، والشمائل : السجيا .

(٦) الحجى : العقل ، والصبا : الفتوة ، والأريحية : خصلة تجعل صاحبها يرتاح إلى الأفعال الحميدة ، والنائل : العطاء ، ويروى « وصباهما كرمًا » ولكنه يتكرر مع قوله « نائلًا » .

(٧) المُرْدُ : اسم فاعل من أَرَدَ بمعنى أمطر رذاذاً وهو المطر الخفيف ، والديمة : المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . والطل : المطر الضعيف ، والجود : المطر الغزير ، والوابل : المطر الشديد .

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا^(١)

والنقصان عن الكمال ؛ كقول أبي العلاء المعري :

وإن كنتَ تَبْغِي العِيشَ فابْغِ تَوْسُطًا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمَتَطَاوُلُ^(٢)

تُوَقُّ الْبَدْرُ النِّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيَدْرِكُهَا النِّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ^(٣)

وتتفرع من حالتَي كماله ونقصه فروعٌ لطيفة ؛ كقول ابن بابك في الأستاذ أبي علي - وقد استوزره وأبا العباس الضبيّ فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد - :

وأعرتَ ثَوْبَ الْمَلِكِ شَطْرَ كَمَالِهِ وَالْبَدْرُ فِي شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَكْمُلُ^(٤)

وقول أبي بكر الخوارزمي :

أراك إذا أَيْسَرْتَ خَيْمَتَ عِنْدَنَا مُقِيمًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا

فما أنت إلا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا^(٥)

المعنى لطيف وإن لم تساعدَه العبارة على ما يجب ؛ لأن الإغباب أن

(١) هذا البيت محل الشاهد ؛ لأنه يشبه ما كانا سيصيران إليه بحال الهلال فيما

يصير إليه من الكمال بعد النقصان .

(٢) التناهي : بلوغ النهاية ، والمتطاول : اسمُ فاعلٍ من تطاولَ بمعنى تَمَدَّدَ .

(٣) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يُشَبِّهُ حال الشخص في أمنه من النقص عند

التوسط في العيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته بحال البدور في أمنها من النقص وهي أهلة وإدراكه لها بعد كمالها .

(٤) قوله « أَعْرَتَ » بمعنى أَعْطَيْتَ ، والشطر : النصف ، يعني بذلك تدبيره نصف

المملكة مع أبي العباس الضبي ، والمراد تشبيه حال الملك في كماله بذلك بحال البدر في كماله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال الممدوح نفسه في كماله بتدبير نصف المملكة . وابن بابك : هو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك .

(٥) قوله « خيمت » بمعنى أقمّت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها . وقوله

« زرت » لماما : بمعنى وقتاً بعد وقت ، وذلك لإظهار التعفف عند العسر . ووجه الشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإقلاله عند قلته .

يتخلل بينَ وَقتَي الحضور وقتٌ يخلو منه ، فإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي دون البعض ، وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار . وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعاعه في نحو ما مضى من بيتي البحرى^(١) وإلى ظهوره في كل مكان ، كما في قول أبي الطيب :

كالبدر من حيثُ التفتَ وجدته يُهدى إلى عينيك نوراً ثاقباً^(٢)

إلى غير ذلك^(٣) .

أركان التشبيه : ثم النظر في أركان التشبيه ، وهى أربعة : (طرفاه ، ووجهه ، وأداته) ، وفي الغرض منه . وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات .

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسيّان ، كما في تشبيه الخد بالورد ، والقَدَّ بالرمح ، والفيلَ بالجبلِ في المُبَصَّرات ، والصوتِ الضعيفِ بالهمس في المسموعات ، والنكهة بالعنبر في المشمومات ، والريق بالخمر في المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات^(٤) .

(١) قد سبقا في ص ٧ ، ٨ .

(٢) الثاقب: المضى أو النافذ في كل مكان ، وقوله « كالبدر » يتعلق بالبيت قبله : هذا الذى أبصرت منه حاضراً مثل الذى أبصرت منه غائباً

(٣) أى مما ينظر فيه إلى حالات القمر . هذا ومن فضائل التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز ، كقولك « زيد أسد » تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطش وغير ذلك مما يجمعه هذا التشبيه على إيجازه .

وقد قال ابن الأثير : إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة ، والبيان ، والإيجاز . ويجب أن يراعى ما سبق من أن التشبيه كغيره من أبواب البيان لا يحسن مع فضله إلا عند اقتضاء المقام له ، وأنه في هذا يتأثر بحال الزمان والمكان ، ويتسع فيه المجال للتهذيب والتجديد ، وقد كان القدماء يشبهون الحدود بالورود ، فخالفهم المحدثون وشبهوا الورود بالحدود ، كما في قول بعضهم (على بن الجهم) :

عشية حيّاني بوردٍ كأنه حدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعضٍ

(٤) هذه أمثلة من الشعر لتشبيه الحسى بالحسى :

الخدُّ وردٌ والصدغُ غاليةٌ والريقُ خمرٌ والثغرُ كالدرِّ
هَزَنٌ من القدود لنا رماحاً فخلين القلوبَ لها درأيا
لها بشرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ رخيماً الحواشي لا هراء ولا نَزْرُ

ولما عقليان ؛ كما فى تشبيه العلم بالحياة^(١) .
ولما مختلفان ؛ والمعقول هو المشبه ؛ كما فى تشبيه المنية بالسبع^(٢) ، أو
العكس ؛ كما فى تشبيه العطر بخلق كريم^(٣) .
والمراد بالحسنى المذكور هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ؛
فدخل فيه الخيالى^(٤) كما فى قوله :

وَكأنَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيـــــقِ قِ إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّدَ
أَعْلَامُ ياقوتِ نُشْرِ نَ على رماحٍ مِنْ زَبْرَجَدٍ^(٥)
وقوله :

كُلُّنا باسطُ اليَدِ نحوَ نيلوفرٍ نَدِي

- (١) من ذلك قول الشاعر :
- تُشرقُ أعراضُهُمُ وأوجُهُهُمُ كأنَّها فى نفوسِهِمُ شِيَمُ
فى تشبيه الأعراض بالشيم ، أما تشبيه الوجوه بها فمِن الحسنى بالعقل .
- (٢) من ذلك قول الشاعر :
- الرأى كالليل مسودُّ جَوَانِبِهِ والليل لا يَنْجَلِي إلا بإصباحِ
(٣) سيأتى فى قول صاحب :
- أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائهِ فكأنما أهدى له أخلاقهِ
وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما فى قول الشاعر :
- وأرض كالأخلاق الكرام قطعُها وقد كحلَّ الليلُ السماك فأبصرها
ومن العلماء مَنْ ينكر تشبيه المحسوس بالمعقول ؛ لأن المشبه به يجب أن يكون أظهر
من المشبه ، وقد حمل ما جاء منه على المبالغة فيكون من التشبيه المقلوب الآتى ، ومن
العلماء من يستحسنه لما فيه من اللطافة والرقّة فلا يكون عنده دائماً من التشبيه المقلوب .
هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيان منزلة تلك الأقسام فى التشبيه ؛ لأن سردها من غير
بيان ذلك ليس فيه فائدة ، والمقرر فى ذلك أن التشبيه كلما كان أدخل فى باب المعنويات
كان أكمل .

(٤) هو المركب الذى توجد أجزاؤه فى الخارج دون صورته المركبة ، فتكون مادته
مدرّكة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٥) هما لأبى بكر أحمد بن محمد بن الحسن الضبّحى المعروف بالصنوبرى ،
والشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وقد أفردته لضرورة الشعر ، وقوله
« تصوب أو تصعد » بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فـ «أو» فيه بمعنى الواو ، والياقوت :
حجر نفيس تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد : حجر نفيس أشهره الأخضر
وهو المراد هنا ، والخيالى فى ذلك هو المشبه به .

كذبابيس عَسَجَدَ قُضِبُهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ (١)
 والمراد بالعقل ما عدا ذلك ، فدخل فيه الوهمي ؛ وهو ما ليس مدركاً
 بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها (٢) كما في
 قول امرئ القيس :

ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٣)
 وعليه قوله تعالى : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٤) ، وكذا ما
 يدرك بالوجدان (٥) كاللذة والألم والشبع والجوع .
 وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو
 تخيلاً ، والمراد بالتخييل ألا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل (٦) كما
 في قول القاضي التنوخي :

وكان النجوم بين دُجَاهَا سَنَنْ لَاحَ يَبْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ (٧)

(١) هما للصنوبري أيضاً ، والنيلوفر : هو البشني ، وهو نبات ذو رائحة ينبت
 في الماء الراكد أصله كالجزر وساقه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أوردق وأزهر وزهره
 أحمر مشوب بصفرة ، والدبابيس : جمع دبوس وهو عصا في رأسها كالكرة ويسمى
 مقمعة ، والعسجد : الذهب أو جوهر كالدرد والياقوت . والخيالي هو المشبه به أيضاً .
 (٢) فعدم إدراكه بها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلي الخالص .
 (٣) هو من قوله :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمُشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرُقُ كَأَنِيَابِ أَغْوَالٍ

وقد مضى في الكلام على الاستفهام في باب الإنشاء ، والوهمي في ذلك هو

المشبه به .

(٤) آية ٦٥ سورة الصافات . والشاهد في الآية على أن المراد بالشياطين : الجن ،
 وقيل إن رؤوس الشياطين ثمر شجر منكر الصورة يسمى الأستن .

(٥) هو ما يدرك بالحواس الباطنة من المعاني الجزئية .

(٦) التأويل بمعنى التخييل وهو جعله غير المحقق محققاً ، ولم يقيد السعد ذلك

بالمشبه به بل جعله عاماً في أحد الطرفين أو كليهما .

(٧) الدجى : جمع دجية وهي الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ،

وفي الشطر الثاني قلب ، والأصل سنن لاحت بين ابتداء ؛ لأن هذا هو الموافق لوجود
 النجوم بين الدجى . والقاضي التنوخي هو على بن محمد بن داود بن فهم .

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مُشْرِقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ؛ فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهلٌ يجعل صاحبها في حكم من يمشى في الظلمة ، فلا يهتدى إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردّى في مهوأة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مُهلكة ، شُبّهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يُشبه السنة والهدى وكل ما هو علمٌ بالنور ، وعليهما قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (١) وشاع ذلك حتى وُصفِ الصنفُ الأول بالسواد ، كما في قول القائل : « شاهدت سواد الكفر من جبين فلان » والصنف الثاني بالبياض و كما في قول النبي ﷺ : « أتيتكم بالحنيفية البيضاء » وذلك لتخيل أن السنن ونحوها من الجنس الذي هو إشراق أو ابيضاضٌ في العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجي بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، وبالأنوار (٢) مؤتلفة بين النبات الشديد الخضرة ؛ فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمتلون متلوناً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يتأوّل بأنه أراد معنى قولهم « إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً » فإنه لما كان وقوف العاقل على عوَار الباطل يزيد الحق نُبلًا في نفسه وحسناً في مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثلاً للمشاهد المُبصر هناك ، غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر ؛ لأن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس (٣) كما فعل البحتري في قوله :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حَسَنِ جَوَارِهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خَيْبٍ (٤)

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقاً .

(٣) المعقول هو زيادة حسن الحق ، والمحسوس هو زيادة حسن النجوم .

(٤) تقدير البيت : وقد زادها جوارها خلائق أصفار من المجد خيب إفراط

حسن ؛ فإفراط مفعول لزاد مقدم على فاعله وهو جوارها ، وخلائق مفعول لجوارها ، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر .

وَحُسْنُ دَرَارَى الْكَوَاكِبِ أَنْ تُرَى طَوَّالِعَ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ (١)

ومن التشبيه التخيلي قول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق (٢)

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاً ؛ فيقال : « اسودَّ النهار في عيني وأظلمت الدنيا عليّ » ، وكان الغزل يدعى القسوة على من لم يعشق ، والقلب القاسي يوصف بالسواد توسعاً ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرف وأشهر من الظلام ، فشبه بهما .

وكذا قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصر (٣)

فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبهاً لها بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجعل أصلاً فيها ، فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التنوخي :

فانهض بنارٍ إلى فحم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا (٤)

فإنه لما كان يقال في الحق : « إنه منير واضح » ، فيستعار له صفة الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك ، تخيلهما شيئين لهما إنارة وإظلام ؛ فشبه

(١) الدراري : جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضيء كالدر ، والداجى :

المظلم ، والغيب : الشديد السواد . والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية منه بهيئة وجود دراري الكواكب في ليل غيب ، فشبه المعقول في هذا بالمحسوس .

(٢) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وأبو طالب الرقي من شعراء اليتيمة : يتيمة

الدهر للثعالبي .

(٣) السماك : الأعزل . والرامح : نجمان نيران ، وضمير « أبصرا » يعود إليه ،

يعنى أنه فتح وظهر ، وفي البيت تشبيه محسوس بمعقول ، وابن بابك هو عبد الصمد ابن منصور .

(٤) هو من قطعة له في وصف البرد ، وفيه تشبيه محسوس بمعقول ، وقد سبق

التعريف بالقاضى التنوخي .

النار والفحم مجتمعين بهما مجتمعين . وكذا ما كتب به صاحب إلى
القاضي أبي الحسن (١) وقد أهدى له صاحب عطر القُطر :

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قُرب عهدٍ لقائه مُشْتاقَه
أهديتُ عطرًا مثلَ طيبِ ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقَه

فإنه لما كان الثناء يُشبهه بالعطر ويشتق له منه ، تخيله شيئاً له رائحة طيبة ،
وشبه العطر به ليوهم أنه أصلٌ في الطيب وأحق به منه . وكذا قول الآخر :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاءً من البأساء بعد وقوع (٢)

فإنه لما رأى الخلاص من شدة يشبه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره
عنه ؛ قلب التشبيه ليُرى أن صورة النجاء من البأساء - لكونها مطلوبة فوق كل
مطلوب - أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه .

وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان علم فسادُ جعله في
قول القائل : « النحو في الكلام كالملح في الطعام » كون القليل مصلحاً والكثير
مفسداً ؛ لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريانها في الملح - وذلك بأن يجعل
منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر منه - دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه
رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً فإن وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه
وانتفى الفساد عنه وصار منتفعاً به في فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان
فاسداً لا يُنتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً
لاشتراكهما في ذلك .

ومما يتصل بهذا ما حكى أن ابن شرف القيرواني أنشد ابن رشيق قوله :
غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقَبُ فِيكُمْ فكأنني سبابةُ المتَّندم (٣)

(١) يعنى صاحب إسماعيل بن عباد ، والقاضي على بن عبد العزيز .
(٢) نسيه ابن المعتز في البديع للعلوى الأصفهاني وهو محمد بن أحمد المعروف
بابن طباطبا ، والانتضاء : الانكشاف ، والنجاء : الخلاص ، والبأساء : الشدة ، وهو
من تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٣) السبابة : إصبع معروف ، يعنى أن الشخص يعرضها إذا ندم على شيء فاته
ولا ذنب لها في ذلك . وابن رشيق اسمه الحسن ، وابن شرف البقرواني هو اسمه
محمد بن سعيد .

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيقي : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ؛ أما الآن فمِن النابغة الذبياني يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك ربةً وهل يَأْتَمَنُ ذو إمّةٍ وهو طائع ^(١)

لكلفتني ذنبَ امرئٍ وتركتُهُ كذى العُرِّ يُكْوَى غيره وهو راتع ^(٢)

وأما الإفساد؛ فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه؛ فلا يكون المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت النابغة؛ فإن المكوى من الإبل يألم وما به عُرٌّ ألبته ، وصاحب العُرِّ لا يألم جملةً ^(٣) .

الوجه الداخل في الطرفين والخارج عنهما :

وهو إما غيرُ خارجٍ عن حقيقة الطرفين، أو خارج. والأول إما تمام حقيقتهما كما في تشبيه إنسان بإنسان في كونه إنساناً، أو جزئهما؛ كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالإنسان في كونه حيواناً. والثاني صفةٌ إما حقيقية أو إضافية ^(٤)، والحقيقة إما حسية؛ وهي الكيفيات الجسمية مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحُسن والقبح وغير ذلك، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتي يَبِينُ بَيِّن، أو بالذوق من أنواع الطعوم، أو بالشم من أنواع الروائح، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف

(١) الإمة : الدين أو النعمة أى ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .

(٢) العر : بضم العين وفتحها الجرب ، وقيل إنه بالفتح : الجرب ، وبالضم : قروح مثل القوباء ، وهى التى يُكْوَى منها لذلك لا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قديماً لجهلهم ثم تركوه ، وقيل : إنه مثل لا حقيقة . والراتع : اسم فاعل من رتع بالمكان ؛ إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(٣) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق فى التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ، وكلام

العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجوز .

(٤) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنة فى الذات متقرة فيها ، والصفة الإضافية كل

معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تعقله على تعقلهما .

إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغرائز والأخلاق .
والإضافية كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس (١) .

الوجه الواحد وغيره والحسى والعقلى :

تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما واحد أو غير واحد ؛ والواحد إما حسى أو عقلى ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد لكونه مركباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسى أو عقلى ، والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف .

والحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين ؛ لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى شئاً ، والعقلى طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان ؛ لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شئاً ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى .

قال الشيخ صاحب المفتاح (٢) : « وها هنا نكتة لا بد من التنبيه لها ؛ وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى ؛ وذلك أنه متى كان حسياً - وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين - فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ؛ لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئت ، وهو استلزامه إذا عُدّت حمرة الخد دون حمرة الورد ، أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا فى أخواتها ، بل يكون (٣) مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان

(١) فإزالة الحجاب أمر نسى يتعلق بالزيل والمزال ، والأول هو الشمس أو الحجة ، والثانى هو الحجاب الحسى أو المعنوى .

ولهذا التقسيم فائدة فى الفرق بين التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتى فى تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(٢) ١٧٩ - المفتاح - المطبعة الأدبية .

(٣) معطوف على قوله « فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به » .

شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد ، فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثليين بتجريدهما عن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقليّ ، ويمتنع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول المثليين في الطرفين ^(١) ؛ فإن المثليين متشابهان فمعهما وجه تشبيه ؛ فإن كان عقلياً كان المرجع في وجه الشبه العقل في المأل ، وإن كان حسيّاً استلزم أن يكون مع المثليين مثلاً آخران ، وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواههما ويلزم التسلسل . « هذا لفظه ، ويمكن أن يقال : المراد بكونه حسيّاً أن تكون أفرادهُ مدركةً بالحس ^(٢) كالسواد ، فإن أفرادهُ مدركةً بالبصر وإن كان هو نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس .

الواحد الحسيّ : الواحد الحسي كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس في تشبيه الخد بالورد ، والصنوت الضعيف بالهمس ، والنكهة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق ^(٣) .

الواحد العقليّ : والواحد العقلي كالعراء عن الفائدة في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعده ، وجهة الإدراك في تشبيه العلم بالحياة - فيما طرفاه معقولان - والجراءة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء في تشبيه أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم بالنجوم ^(٤) فيما طرفاه محسوسان - والهداية في تشبيه العلم بالنور ^(٥) ، وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه العدل بالقسطاس - فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس - ، واستطابة

(١) أي من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما .

(٢) أعترض على هذا بأنه في الحقيقة اعتراف بأن وجه الشبه عقلي كما قال السكاكي ، وإنى أرى أن هذا البحث كله مباحكة لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم .

(٣) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرّها

(٤) في قوله ﷺ : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »

(٥) كما قال الإمام الشافعي :

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ ونورُ الله لا يهدي لِعاصي

النفس في تشبيه العطر بسخلق كريم ^(١) ، وعدم الخفاء في تشبيه النجوم بالسُّن ^(٢) فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول - قال الشيخ صاحب المفتاح ^(٣) : « وفي أكثر هذه الأمثلة في معنى وحدتها تسامح » ^(٤) .

المُرْكَب الحَسِّيّ : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ؛ كالهئية الحاصلة من الحمرة والشكل الكرّى ، والمقدار المخصوص في قول ذى الرُّمة :
وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرَتْ صَاحِبِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْعِدِهَا وَكُرَّا ^(٥)
وكالهئية الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصصة إلى مقدار مخصص في قول أحيحة بن الجلاح أو أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقودٍ ملاحيةٍ حين نورا ^(٦)

(١) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

أهديت عطراً مثل طيب ثنائيه فكأنما أهدى له أخلاقه

(٢) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

وكان النجوم بين دجأها سننٌ لاح بينهن ابتدأ

(٣) ١٨٠ - المفتاح .

(٤) لأن فيه نوع تركيب إضافى ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستطابة النفس . وأجيب عن ذلك بأن الكلام فى مطلق المفرد لا فى المفرد المحض .

(٥) السقط : النار الساقطة من الزند . وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء كعين الديك ، وقوله - عاورت : بمعنى ناوبت ، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضعوا أحدهما أسفل ويسموه أنثى ، ثم يفرضوا فيه فرضاً ويجروا فيه عوداً آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه . والوكر : ما تُودع فيه النار بعد خروجها . وذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن مسعود .

(٦) الملاحية : عنب أبيض فى حبه طول . وقوله « نور » بمعنى أدرك نضجه ،

وكاف التشبيه هى التى فى قوله « كعنقود » أما الكاف قبلها فبمعنى على ، وتقييد كل من المشبه والمشبه به بما قيد به لا ينافى كونه مفرداً ؛ لأن المراد بالمفرد ما ليس هيئة منتزعة من متعدد . وأبو قيس : هو صيفى بن عامر ، والأسلت لقب أبيه ، وقيل : إن البيت لقيس ابن الخطيم .

وإما مركبان ؛ كالهَيئة الحاصلة من هَوَى أَجرام مشرقة مستطيلة متناسبة
المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأُسَيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (١)

وكالهَيئة الحاصلة من تفرُّق أَجرام متألئة مستديرة صغار المقادير فى
المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة فى قول أبى طالب الرقى :

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نَثْرُنٌ عَلَى بُسَاطٍ أَزْرَقٍ (٢)

وإما مختلفان ، كما فى تشبيه الشاة الجبلية (٣) بحمار أتر مشقوق الشفة
والخوافر نابت على رأسه شجرتا غضا ، وكما مر فى تشبيه الشقيق
والتيلوفر (٤) .

ومن بديع هذا النوع - أعنى المركب الحسى - ما يجىء فى الهيئات التى
تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحدهما أن يُقرَن بالحركة غيرها من
أوصاف الجسم كالشكل واللون ؛ كما فى قوله :
والشمسُ كالمرآة فى كفِّ الأثل (٥)

(١) هو لبشار بن برد . ومثار : اسم مفعول من أثاره بمعنى هيج ، والنقع :
الغبار ، وقوله تهاوى : بمعنى تتساقط أصله تنهاوى ، والواو فى قوله « وأسيفنا » إما واو
المعية أو عاطفة متضمنة معنى مع ؛ لأن الواو التى لخالصة العطف لا تكون فى المركب ،
وإنما تكون فى المتعدد .

(٢) يريد لوامعاً فى السماء حتى يكون هناك زرقة فى المشبه أيضاً ، وقد حُذِفَ
للعلم به . وقد سبق التعريف بأبى طالب الرقى .

(٣) هو الثور الوحشى . (٤) انظر ص ١٤ .

(٥) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبى النجم :

والشمسُ كالمرآة فى كفِّ الأثل لَمَّا رَأَيْتَهَا بَدَتْ فَوْقَ الْجَبَلِ

وقد ورد فى الخزائن - شاهد ٢٩١ - منسوباً إلى جبار بن جزء ، والمراد بالأثل
المرتعش اليد ؛ لأن المرأة إنما تؤدى هذه الحركة فى كفه ، والشلل فى الأصل يمس اليد
أو ذهابها ، وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التمزُّج والاضطراب ، حتى يرى الشعاع كأنه يهيمُ بأن ينسبطَ حتى يفيضَ من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ؛ فإن الشمس إذا أهدَّ الإنسانُ النظرَ إليها ليتبين جرمها ، وجديها مؤدِّية لهذه الهيئة ، وكذا المرأة إذا كانت في يد الأثَلِّ .

ومثله قول المهلبى الوزير :

والشمسُ من مَشْرِقِهَا قد بَدَتْ مَشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ (١)
كَأَنَّهَا بَوْتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ (٢)

فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكَّلَ بشكلها في الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهيمُ بأن ينسبط حتى يفيضَ من جوانبها لما في طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء . وكما في قول الصنوبرى :

كَأَنَّ فِي غَدْرَانِهَا حَوَاجِباً ظَلَّتْ تُمَطُّ (٣)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم تمتد امتداداً يُنْقِصُ من انحنائها فينقلها من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شئ

(١) المراد بالحاجب السحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق .

(٢) البوتقة : ما يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة . والمهلبى الوزير : هو

الحسن بن محمد ، ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة .

(٣) الغدران : الأنهار ، وقوله « تمط » بمعنى تمد ، يصف أرضاً بأن أنهارها تهب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد . والصنوبرى هو أبو بكر أحمد بن محمد .

بالحواجب إذا امتدت؛ لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً ، ومده يُنقص من تقويسه .

والوجه الثانى أن تُجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلوّ وبعضه إلى السفلى ، فحركة الرّحا والدّولاب ^(١) والسهم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحفٌ قارٍ فانطباقاً مرّةً وانفتاحاً ^(٢)

فيها تركيب ؛ لأنه يتحرك فى الحالتين إلى جهتين ^(٣) فى كل حالة إلى جهة .

وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبغاض الجسم إليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر . ومن لطيف ذلك قول الأعشى ^(٤) يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقْصُ السِّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كَمَا يَنْزُو الرِّيحُ خَلَا لَهُ كَرَعٌ ^(٥)

قال الشيخ عبد القاهر ^(٦) : الرياح : الفصيل ، والكرعُ : ماء السماء ؛

(١) الدّولاب : الساقية وهى آلة يستعملها الفلاح المصرى فى سقى الأرض والزرع .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، و (قار) مخفف قارىء قلبت همزته ياء ثم أعلّ إعلال قاض ، والفاء فى قوله « فانطباقاً » للتفريع ، وتحرك المصحف فى حالة الانطباق إلى جهة العلو وفى حالة الانفتاح إلى جهة السفلى ، ووجهُ الشبه تقارنُ هذه الحركات مع تكررها .

(٣) جهة العلو فى حالة الانطباق ، وجهة السفلى فى حالة الانفتاح .

(٤) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس .

(٥) قوله تقصص : بمعنى تشبُّ ، والسفين : اسم جنس واحده سفينة ، وكرع :

فاعل خلا ، وقيل إنه بكسر الخاء والأصل خلال الكرع ، فيكون فى البيت قلب .

(٦) ٢١ - أسرار البلاغة - مطبعة الاستقامة .

شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ؛ فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفلٌ وتصدُّ على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما في الآخر ، فلا يتبينه الطرفُ مرتفعاً حتى يراه مُتسَفِّلاً ، وذلك أشبهُ شيء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تتدافعها الأمواج . ومنه قول الآخر :

حَفَّتْ بِسُرُو كَالْقِيَانِ تَلَحَّفَتْ خُضِرَ الْحَرِيرُ عَلَى قَوَامٍ مُعْتَدِلٍ
فَكَأَنَّهَا وَالرَّيْحُ جَاءَ يُمِيلُهَا تَبَغَى التَّعَانُقَ ثُمَّ يَمْنَعُهَا الْخُجْلُ^(١)

فإن فيه تفصيلاً دقيقاً ؛ وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيؤ للذنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدَّى ما يكون في الثانية من سرعة زائدة تأديةً لطيفة ؛ لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال . وكذلك حركة مَنْ يُدْرِكُ الْخُجْلَ فَيُرْتَدِعُ أَسْرَعُ مِنْ حَرَكَةِ مَنْ يَهْمُ بِالذَّنْوِ ؛ لأن إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبه السهلُ الممتنع من هذا الضرب قول امرئ القيس :

مِكَرٌّ مِقَرٌّ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرَ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ^(٢)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى

(١) هما للأخطل الأهوازي الملقب ببرقوقا . وقيل إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب . وقيل إنهما لابن المعتز . والضمير في « حفت » لروضة يصفها ، والقيان : جمع قينة وهي الجارية ، وهن يُشَبَّهْنَ في اعتدال القدِّ بالسرو ، وقد يشبه السرو بهن في ذلك فيكون من التشبيه المقلوب ، وقوله « تلحفت » بمعنى اتخذت لحاقاً ، والخجل : الحياء .

(٢) المكر : السريع الكرّ . يقال « كر الفارس على العدو » بمعنى حمل وانقضَّ ، والمقر : السريع الفرّ ، وعلى : بمعنى فوق .

كَفَّلَهُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَرَى فِيهَا لَبَّيْهِ ، فَهُوَ كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ دَفَعَهُ السَّيْلُ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ ؛ فَإِنْ الْحَجَرُ بَطْبَعَهُ يَطْلُبُ جِهَةَ السَّفَلِ لِأَنَّهَا مَرَكِزُهُ ، فَكَيْفَ إِذَا أَعَانَتْهُ قُوَّةُ دَفْعِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ ، فَهُوَ لِسُرْعَةِ تَقْلِبِهِ يُرَى أَحَدُ وَجْهَيْهِ حِينَ يُرَى الْآخَرُ .

وَكَمَا يَقَعُ التَّرَكِيبُ فِي هَيْئَةِ الْحَرَكَةِ قَدْ يَقَعُ فِي هَيْئَةِ السَّكُونِ ؛ فَمِنْ لَطِيفِ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ :

يُقْعَى جُلُوسَ الْبَدْوَى الْمُصْطَلَى (١)

وَأِنَّمَا لَطَفَ مَنْ حَيْثُ كَانَ لِكُلِّ عَضْوٍ مِنَ الْكَلْبِ فِي إِقْعَائِهِ مَوْقِعٌ خَاصٌّ ، وَلِلْمَجْمُوعِ صُورَةٌ خَاصَّةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاقِعِ .

وَمِنْهُ الْبَيْتُ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ فِي صِفَةِ مُصْلُوبٍ :

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلٍ

أَوْ قَائِمٌ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لُوثَتُهُ مُوَاصِلٌ لِمَتَمِّطِيهِ مِنَ الْكَسَلِ (٢)

وَالْتَفْصِيلُ فِيهِ أَنَّهُ شَبَّهَ بِالْمَتَمِّطِ إِذَا وَاصَلَ تَمْطِيَهُ مَعَ التَّعَرُّضِ لِسَبَبِهِ وَهُوَ اللَّوْثَةُ وَالْكَسَلُ فِيهِ ، فَنَظَرَ إِلَى هَذِهِ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ (٣) ، وَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَى أَنَّهُ كَالْمَتَمِّطِ كَانَ قَرِيبَ التَّنَازُلِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَدْرَ يَقَعُ فِي نَفْسِ الرَّائِي لِلْمُصْلُوبِ ابْتِدَاءً ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْجُمْلَةِ .

(١) هُوَ مِنْ قَوْلِهِ :

يُقْعَى جُلُوسَ الْبَدْوَى الْمُصْطَلَى بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تَجْدَلِ

وَقَوْلُهُ « يَقْعَى » بِمَعْنَى يَجْلِسُ عَلَى أَلْيَيْهِ ، وَالْمُصْطَلَى : الْمُسْتَدْفَى ، وَالْمَجْدُولَةُ : الْمَحْكُمَةُ الْخَلْقِ ، وَقَوْلُهُ « لَمْ تَجْدَلِ » بِمَعْنَى لَمْ تَجْمَعْ كَمَا يَكُونُ فِي غَيْرِ صُورَةِ الْإِقْعَاءِ ، يُقَالُ - جَدَلَ الشَّعْرَ - بِمَعْنَى ضَفَرَهُ ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ وَقُوعِ كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُمَا فِي مَوْقِعٍ خَاصٍّ .

(٢) هُمَا لِلْأَخِيضِ الْأَهْوَازِيِّ الْمَلْقَبِ بِبَرْقُوقَا ، وَالصَّفْحَةُ : بَاطِنُ الْكَفِّ ،

وَاللَّوْثَةُ : الْإِسْتِرْخَاءُ ، وَهَذَا مِثَالُ لِهَيْئَةِ السَّكُونِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ .

(٣) هِيَ التَّمْطَى ، وَمَوَاصِلَتُهُ ، وَالتَّعَرُّضُ لِسَبَبِهِ .

وشبيه بهذا القول قول الآخر :

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ تسعين منهم صُلبوا في خَطِّ
مِن كلِّ عالٍ جَذَعُهُ بالشُّطِّ كأنه في جَذَعِهِ المُشْتَطِّ
أخو نَعاسٍ جَدَّ في التَّمْطِي قد خامره النُّومُ ولم يَغُطِّ (١)

والفَرْقُ بين هذا والأول (٢) أن الأول صريحٌ في الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثاني بالعكس .

قال الشيخ عبد القاهر (٣) : « وشبيه بالأول في الاستقصاء قول ابن الرومي في المصلوب أيضاً :

كأن له في الجَوْ حَبلاً يَبُوعُهُ إذا ما انقضى حَبْلٌ أُتِيحَ له حَبْلٌ (٤)

فقوله « إذا ما انقضى حبل أُتِيحَ له حبل » كقوله « مواصل لتمطيه من الكسل » في التنبيه على استدامة الشبه ؛ لأنه إذا كان لا يزال يبيع حَبلاً لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

الركب العقلي : والركب العقلي كالمنظر المُطْمَع مع المخبر المؤيس الذي هو على عكس ما قَدَّرَ في قوله تعالى (٥) : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

(١) الأبيات لدعبل بن علي الخزاعي ، والزط : طائفة من الهند صُلبَ منهم هذا العدد في خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ، ويعرفون بالنَّور أو بالغجر ، فقوله « من كل عال » صفة لخط ، وقوله « جذعه » فاعل عال ، وقوله « بالشط » صفة له ، والضمير في قوله « كأنه » للواحد من المصلوبين ، والمشتط : الخارج في طوله عن الحد ، وقوله « خامر » بمعنى خالط أى خالطه النوم ، وقوله « لم يغط » بمعنى لم ينخر ويتردد نفسه صناعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

(٢) يعنى بهذا قول دعبل ، وبالأول قول الأخیطل . (٣) ٢١٦ - أسرار البلاغة .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي . وقوله « يبعه » : بمعنى يقبضه

بالباع ، وقوله « أُتِيحَ » بمعنى هُبِّي . (٥) سورة النور : ٣٩ .

بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوقه حسابه ﴿ شبه ما يعمل من لا يقرن الإيمان بالمعبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة ^(١) وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيغلونه ^(٢) إلى جهنم ، فيسقونه الحميم والغساق ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روى من الكافر فعل مخصوص وهو حساب الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسلة عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئاً ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم ، وكذا في جانب المشبه به ^(٣) .

وكحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه ، كما في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ ^(٤) فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه .

● **دقيقة في الوجه المركب :** واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يُظن أن المقصود أمرٌ مُنتزعٌ من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزِعاً من جميعها ،

(١) الساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سُميت بذلك لأن السراب يجرى فيها ، من قولهم « عين ساهرة » جارية الماء .

(٢) يقودونه بعنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتليب الرجل فيجر إلى حس أو قتل .

(٣) فالجامع كون الشيء على صفة توهم نفعه وهو في الباطن غير نافع بل

ضار .

(٤) سورة الجمعة : ٥ .

كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلَمَّا رأوها أقشعتُ وتجلت (١)

فإنه ربما يُظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمرٍ مطمعٍ لمن هو شديد الحاجة إليه (٢) ، ولكن بالتأمل يظهر أن مَغزَى الشاعر فى التشبيه أن يُثبت ابتداءً مُطمعاً متصلاً بانتهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا « زيد يصفو ويكدر » تشبيهاً واحداً (٣) لأن الاختصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ؛ لأن الغرض منه وصف المُخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداهما لا تدوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يُثبت ابتداءً مطمع متصل بانتهاء مؤيس كما مر ، وكون الشئ ابتداءً لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس فى قولنا « يصفو ويكدر » أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا « يصفو ثم يكدر » لإفادة « ثم » الترتيب المقتضى ربطاً أحد

(١) قبله :

لقد أَطْمَعَنِي بِالْوَصَالِ تَسْمَاً وَبَعْدَ رَجَائِي أَعْرَضْتُ وَتَوَلَّيْتُ

وقوله « أبرقت » بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فما بعده منصوب بنزع الخافض ، والغمامة : السحابة ، وقوله « أقشعت وتجلت » بمعنى تفرقت وانكشفت . وقد نسب بعضهم البيت إلى كثير ، ولكنه لا يوجد فى تائيته .

(٢) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من التعقيب بقوله « واعلم أنه قد تقع الخ » التنبيه على هذا الاشتباه بين الوجه المركب وغير المركب .

(٣) أى مركباً ، وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أى المتعددة والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ؛ لأن التشبيه المركب وجهه واحد وإن كان منتزعا من متعدد ، والمراد فى المثال تشبيهه فى حال رضاه بالماء الصافى ، وفى حال غضبه بالماء الكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه فى هذا ما هو أعم من الاصطلاحى ؛ لأن الاستعارة كالتشبيه تكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضا .

الوصفين بالآخر ، وقد ظهر مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بأمرين : أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حُذِف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف . فإذا قلنا « زيد كالأسد بأساً والبحر جوداً والسيف مَضَاءً » لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسقٌ مخصوص ، بل لو قُدِّم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أُسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه (١) .

المتعدد الحسى : والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى .

المتعدد العقلى : والمتعدد العقلى كحِدَّة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد في تشبيه طائر بالغراب .

المتعدد المختلف : والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يُمَيِّزَ عما عداه ، فإذا أردت أن تشبه جسمًا بجسم في هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق (٢) ؛ فإنه لم ينظر إلى شيء من أوصافه سوى الهيئة التى تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أدواته **فالكاف** فى نحو قولك «زيد كالأسد» ، «وكأن» (٣)

(١) من وجوه الفرق أيضا بين التشبيه المتعدد والمركب أن المتعدد يعطف فيه كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه فى الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر ، كأن يكون فى صفته أو صلته أو حالاً منه أو معطوفاً عليه بالفاء أو ثم . فإذا توسطته الواو كانت للمعية أو عاطفة متضمنة لها أو للحال .

(٢) انظر ص ٢٥

(٣) قد تستعمل - كأن - لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقاً فلا تفيد التشبيه ، =

فى نحو قولك « ريد كأنه أسد » ، و (مثل) فى نحو قولك « زيد مثل الأسد » . وما فى معنى (مثل) كلفظة (نحو) ، وما يشتق من لفظة (مثل وشبه) ونحوهما (١) .

والأصل فى الكاف ونحوها (٢) أن يليها المشبه به (٣) ، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به (٤) .

وذلك إذا كان المشبه به مركباً ؛ كقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ (٥) إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل

= كقولك « كأن زيداً أخوك » ، وكأنه قائم - وقد تفيد التشبيه الضمنى ، كما فى قول الشاعر :

كأن دنائيراً على قسماتهم وإن كان قد شفّ الوجوه لقاء
فإنه لا تكون الدنانير على قسماتهم إلا إذا كانت تشبيهاً .

(١) كالمشتق من المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة ، ومن ذلك قول الشاعر :

وصبغ شقائق النعمان يحكى بواقيتاً نظمن على اقتران
وقول الآخر :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى فمن مثل ما فى الكأس عىنى تسكبُ
(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ (مشابه ومماثل) ، أما غير الكاف ونحوها وهو ما يدخل على الجملة أو يكون جملةً بنفسه فالأصل فيه أن يدخل على المشبه ، كلفظ (كأن) مما يدخل على الجملة ، وكلفظ (يشابه) مما يكون جملةً بنفسه ، والمشبه فى نحو « زيد يشابه عمراً » هو الضمير العائد على زيد لا زيد .

(٣) إما لفظاً نحو « زيد كأسد » أو تقديرًا نحو قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ البقرة الآية ١٩ ، تقديره أو كمثل ذوى صيب ؛ بدليل قوله بعده ﴿ يجعلون ﴾ .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشبه به كالماء فى الآية ؛ فإنه بعض ما تنتزع منه هيئة المشبه به .
(٥) سورة الكهف : ٤٥ .

لتقديره ^(١) بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيجُ فتُطيرهُ الرياح كأن لم يكن .
وأما قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٢) فليس منه ؛ لأن المعنى كونا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم : من أنصاري إلى الله ^(٣) .

وقد يُذكر فعل ^(٤) بنبيء عن التشبيه ؛ كعلمت في قولك : « علمت زيداً أسداً » ، ونحوه ^(٥) هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تباعد قيل : « خلته وحسبته » ، ونحوهما ^(٦) .

الغرض من التشبيه :

وأما الغرض من التشبيه فيعود في الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه ؛ كما في قول أبي الطيب :

(١) بأن يقدرَ كنبات ماء ؛ لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلاً .

(٢) سورة الصف : ١٤ .

(٣) فهو مما يلي المشبه به الأداة تقديرأ .

(٤) يعنى فعلاً غير الأفعال السابقة الموضوع من أصلها للدلالة على التشبيه ؛ فأداة التشبيه هنا مقدرة ، والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ، ومن ذلك قول أبي نواس في تشبيه الحبيب :

فإذا ما اعترضته العيب من حيث استدارا

خلته في جنبات الـ سكاس واوات صغاراً

أى : كواوات صغيرة .

(٥) من كل ما يفيد اليقين . (٦) من كل ما يفيد الظن .

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَثَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ (١)

أراد أنه فاق الأثام في الأوصاف الفاضلة إلى حدٍّ بَلَّ معه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها - أمرٌ غريبٌ يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة ، حتى يجيء إثبات وجوده في الممدوح ، فقال « فإن المسك بعض دم الغزال » أى ولا يعدُّ في الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد منها شيء في الدم ، وخلوُّه من الأوصاف التى لها كان الدم دماً ، فأبان أنَّ لما ادعاه أصلاً في الوجود على الجملة .

ومنها بيان حاله ؛ كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد إذا عَلِمَ لون المشبه به دون المشبه (٢) .

ومنها بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان ؛ كما في قوله :

مَدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ (٣)

(١) الفاء في قوله « فإن المسك » للتعليل ، والجواب محذوف تقديره : فلا غرابة في ذلك . والتشبيه في البيت يسمى معنوياً وضمنياً ومكنياً عنه ؛ لأنه ذُكر في الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه - فَوْقَانِ الْفَرْعِ الْأَصْلَ - وأريد الملزوم وهو التشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومي :

قَالُوا أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شَيْبَانَ قُلْتُ لَهُمْ كَلَّا لَعَمْرَى وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ
كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ
(٢) مما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كَانَ سَهِيلاً وَالنَّجُومُ وَرَاءَهُ صَهْفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا
(٣) هو من قول الحسن بن وهب :

مَدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأَقْلَامٌ كَمَرْهَفَةِ الْحِدَادِ
والخافية : إحدى ريشات عشر في مقدم الجناح يقال لها خوافٍ ، والمرهفة : =

وعليه قول الآخر :

فأصبحتُ من ليلَى الغدَاة كقابضٍ على الماءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأصَابِعِ (١)
أى بلغتُ فى بوار سعى فى الوصول إليها وأن أمتّع بها أقصى الغايات ،
حتى لم أحظّ منها بما قلّ ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله فى نفس السامع ؛ كما فى تشبيه مَنْ لا يحصل من
سعيه على طائل بمن يرقم على الماء (٢) . وعليه قوله عز وجل : ﴿ وإذ نتقنا
الجبَل فوقهم كأنه ظلّة ﴾ (٣) فإنه بين ما لم تجر به العادة بما جرت به
العادة (٤) .

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتمّ وهو به
أشهر (٥) ؛ ولهذا ضعف قول البحرى :

= المدقة ، والحداد : جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى « الحراب »
بدل الحداد جمع حرية وهى آلة قصيرة محدّدة ، وربما استعملت للرمح ، وروى لأبى
تمام :

مدادٌ مثل خافية الغراب وقرطاسٌ كقرقاع السحاب

(١) قيل : إنه للمجنون ، والفروج : جمع فرج وهو الخلل بين الشيتين ، وقيل :
إن التشبيه فى البيت يُقصد منه تقريرُ حال المشبه ، وروى الشطر الأخير : « على الماء لا
يدرى بما هو قابض » .

(٢) من قول الشاعر :

إذا أنا عاتبْتُ الملولَ كأنما أخطُ بأقلامى على الماء أرقما
(٣) سورة الأعراف : ١٧١ .

(٤) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله فى
نفس السامع كما ذكر .

(٥) يريد بكونه أتمّ أن يكون أقوى وأكمل ، وبكونه أشهر أن يكون أعرف ،
واقتضاء تلك الوجوه للأعزفية ظاهر لأن المشبه به كالمُبيّن المعروف للمشبه ، فيجب أن يكون
أعرف بوجه الشبه ؛ لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها للأنتمية فإنما يظهر
فى غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضى أن يكون المشبه به على
حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ، ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من المشبه به ، =

على باب قنسرين والليل لاطخ^(١) جوانبه من ظلمة بمداد^(٢)
فإنه رب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى ؛ ولهذا قال
ابن الرومي :

حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للإخوان أي سيل^(٣)
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه^(٤) نظر إلى قول
العامية في الشيء الأسود « هو كالتقس »^(٤) ثم تركه للقافية إلى المداد .
ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الطي .
ومنها تشويبه للتنفير عنه ، كما في تشبيه وجه مجذور بسليحة جامدة قد
نقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومي في قوله :
= كقوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ سورة
النور : ٣٥ ، لأن الغرض منه بيان الحال لا تقريره ، ومن ذلك قول أبي تمام في أحمد بن
المعتصم :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أخف في ذكاء إياس
وقد أخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بالثلاثة فقال :
لا تُكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والتبراس
والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرافية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر من
تعليله .

(١) الجار والمجرور في أول البيت متعلق بقوله قبله :
وما بلغ النوم المسامح لذة سوى أرقى في جنبها وسهادي
وقنسرين : كورة مشهورة بالشام قرب حلب ، والشاهد في قوله « من ظلمة بمداد »
إذ بين فيه المشبه به شبه والتقدير بمداد من ظلمة .
(٢) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي من قوله في مدح عمر بن حفص
الوراق ، وكان الأدباء يستهدون منه حبراً :
حبر أبي حفص لعاب الليل كأنه ألوان دهم الخيل
يسيل للإخوان أي سيل بغير وزن وبغير كيل
والمراد بلعاب الليل ظلمته ، ودهم الخيل سوادها .
(٣) الضمير للبحترى .
(٤) أي : الحبر .

تَقُولُ هَذَا مَجَاجُ النَحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَعِبَ قَلْبَ ذَا قِيٍّ الزَّنَابِيرِ (١)

ومنها استطرافه (٢) كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه في صورة الممتنع عادة ، وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إما مطلقاً كما مر (٣) وإما عند حضور المشبه ؛ كما في قوله :

وَلَا زَوْرَدِيَّةٌ تَرَهُو بِزُرْقَتِهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيَتِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ (٤)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تترأى ناراها ، وما يؤيد هذا ما يُحكى أن جريراً قال : « أنشدني عدى » :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُماً فَاَعْتَادَهَا

فلما بلغ إلى قوله :

تَزَجِي أَعَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

رحمته وقلت : قد وقع ؛ ما عساه يقول وهو أعرابي جلفٌ جاف ؟

(١) المجاج : الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل : العسل ، والزناوير : جمع زُبُور وهو كل ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

(٢) أى جعله طريفاً بديعاً جديداً ، ويجوز أن يكون بالظاء أى جعله ظريفاً جميلاً

(٣) في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب ، فهو مستطرف

من ناحية امتناعه في الخارج ومن ناحية ندرة حضوره في الذهن .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، وقيل لغيره . واللازوردية : البنفسج وهى نسبة

تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقوله « تزهو » بمعنى تتكبر ،

وقوله « حمر اليواقيت » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل التشبيه بأوائل النار

في أطراف كبريت لأنها في أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فلما قال :

قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا (١)

استحالت الرحمةُ حسداً « فهل كانت رحمته فى الأولى والحسد فى الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبهً ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر (٢) ، وهو أنه أراك شبهاً لنبات غَضَّ يرفُّ وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مُسْتَوٍ عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلَّة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَدَ ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له : كانت صباغة النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر .

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثانى فيكون فى الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه ، وذلك فى التشبيه المقلوب ، وهو أن يكون الأمر بالعكس (٣) كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباحُ كأنْ غُرَّتْهُ وَجْهُ الخليفةِ حينَ يُمْتَدِّحُ (٤)

فإنه قصدَ إيهام أن وجهَ الخليفةِ أتمُّ من الصباحِ فى الوضوح والضياء ،

(١) هذا البيت من قصيدة لعدى بن الرُّقاع مطلعها :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهَمًا فاعْتادَهَا مِنْ بعد ما شَمِلَ البِلَى أَبْلاَدَهَا

والأبلاَد : قطع الأرض عامرة أو غامرة وقيل هى الآثار . وقوله « تزجى » بمعنى تسوق ، والضمير للظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة وهو ولدها ، ويقال طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والرووق : القرن ، وإبرته : طرفه . ورواية الكامل أن عدياً كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجريير حاضر .

(٢) ١٤٧ - أسرار البلاغة .

(٣) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل منه فى وجه الشبه ، وبهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ؛ لأن كلاً من المشبه والمشبه به فيه كذلك فى الحقيقة ولا قلبَ فيهما .

(٤) الغرة : فى الأصل البياض فى جبهة الفرس ، وقد استعيرت لبياض الصبح ، والمراد تشبيه وجه الخليفة بها ، ولهذا كان التشبيه مقلوباً .

واعلم أنّ هذا وإن كان فى الظاهر يشبه قولهم: « لا أدرى أوجهُ أنور أم الصبح ، وغرته أضوأ أم البدر ؟ » وقولهم إذا أفرطوا : « نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه » ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن فى الأول خلابةً وشيئاً من السحر ليس فى الثانى ، وهو أنه كأنه يستكثر للصبح أن يُشَبَّه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد فى تشبيهه يُفخِّم به أمره ، فيوقع المبالغة فى نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ؛ لأنه وضع كلامه وضع من يقىس على أصل مُتَّفَق عليه ، لا يُشْفِق من خلافٍ مخالف وتهكُّم متهكُّم ، والمعانى إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت كالنعمة التى لا تكدِّرها المنة ، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب ، وفى قوله « حين يمتدح » فائدة شريفة ، وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فىمن هو كامل فى الكرم ، من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وما قصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس ، بالإصغاء إليه والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده .

ومنه قوله تعالى حكايةً عن مستحلِّ الربا : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ ^(١) فإن مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع - إذ الكلام فى الربا لا فى البيع ، فخالقوا لجعلهم الربا فى الحلِّ أقوى حالاً من البيع وأعرف به .
ومنه قوله عز وجل ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٢) فإن مقتضى الظاهر العكس ؛ لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسمَّوها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ؛ فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلَّوا حتى صارت عندهم أصلاً فى العبادة ^(٣) والخالق

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل : ١٧ .

(٣) اعترض على هذا بأنه يخالف قولهم فى سورة الزمر آية ٣ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا =

سبحانه وتعالى فرعاً ، فجاء الإنكار على وفق ذلك ، وقال السكاكى (١) :
 « عندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحىُّ العالم القادر من الخلق (٢) تعريضاً
 بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (*) تنبيه توبيخ
 عليه ، ونحوه (٣) قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ (٤) بدل
 « أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ هَوَاهُ إِلَهُهُ » .

وقد يكون الغرضُ العائد إلى المشبه به بيان الأهتمام به ، كتشبيه الجائع
 وجهاً كالبدن في الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا
 غير ، وهذا (٥) يسمى إظهار المطلوب ، قال السكاكى (٦) : « ولا يحسن
 المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما يُحكى عن الصاحب
 أن قاضى سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفتناً ، فأخذ يمدحه حتى
 قال :

وَعَالِمٌ يُعْرِفُ بِالسَّجْزَى (٧)

= ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ فيكون الأحسن في توجيه ذلك أنهم حين جعلوهم مثل الله في
 العبادة قد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوق وشبيهاً به ، فأنكر ذلك بقوله ﴿ أَفَمَنْ
 يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ وعلى هذا لا يكون من التشبيه المقلوب . ويمكن أن يجاب عن ذلك
 بأن الشُّرك مختلف المذاهب ، فيجوز أن يكون من المشركين من يعبد الأصنام لا لتقربه إلى
 الله زلفى .

(١) ١٨٤ - المفتاح .

(٢) لأن (مَنْ) موضوعة للعاقل ، وغير السكاكى يحملها على الأوثان تشبيهاً لها
 بالعاقل لعبادتهم لها . والفرق بين القولين أن إنكار تشبيه الأصنام بالله يكون مستفاداً من
 ذلك على سبيل التعريض عند السكاكى وعلى سبيل التصريح عند غيره .

(٣) أى نحو ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ (٤) الفرقان : ٤٣ .

(٥) يعنى بيان الأهتمام بالمشبه به . (٦) ١٨٥ - المفتاح .

(٧) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو: أبو الحسن عمر السجزي .

(*) قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وردت في يونس آية ٣ ، وفي هود ٢٤ ،

٣٠ ، والنحل ١٧ .

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، ففعلوا واحداً بعد واحد ، إلى أن انتهت النوبة إلى شريف في البين ، فقال :
أشْهَى إلى النفس من الخُبْزِ (١)
فأمر الصاحب أن تُقدِّمَ له مائدة .

هذا (٢) كله إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقةً أو ادعاءً (٣)
بالزائد ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر (٤) ، فالأحسن تركُّ التشبيه إلى الحكم بالتشابه (٥) ليكون كل واحد من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبي إسحاق الصابى :
تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي
فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ (٦)
فوالله ما أدرى أبا الخمر أسبَلت
جفونى أم مِنْ عِبْرَتِي كُنتَ أَشْرَبُ (٧)

(١) اعترض على التمثيل بهذا للتشبيه بأنه أفعال تفضيل لا تشبيه ، وأجيب عنه بأنه لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقاً ، وقد قيل : إن أفعال التفضيل كله من التشبيه . وهو بعيد .

(٢) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام في التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبهاً والآخر مشبهاً به على التعيين وما تفرَّع على ذلك من الكلام .
(٣) هذا في التشبيه المقلوب لأنه يدعى فيه ذلك .

(٤) هذا إما لأن المقام يقتضى المبالغة في ادعاء التساوى ، وإما لأن الغرض إفادة أصل الاشتراك ، فيكون المقصود إفادة التساوى ادعاءً أو حقيقةً .

(٥) مثله الحكم بالتساوى ونحوه ، وليس من ذلك نحو « شابه زيد عمراً » إن كان من صيغ المشاركة ؛ لأن صيغة « تفاعل » تدل على إسناد الفعل ابتداءً لاثنين .
أما صيغة « فاعل » فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على المفعول ، ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام .

(٦) المدامة : الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطاع إدامته شربه غيرها ، وسبق

ذكر البيت في ص ٣٤ في الحاشية .

(٧) العبرة : الدمع . والتساوى في قوله « تشابه دمعى ومدامتى » ادعائى إذا =

وكقول الآخر :

رَقَّ الزُّجَاجُ وراقتِ الخمرُ فتشابهها فتشاكل الأُمُرُ
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرٌ^(١)

ويجوز التشبيه أيضاً^(٢) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه^(٣) ، وتشبيه الشمس بالمرأة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال :

وكان الشمس المنيرة دينا رُجلته حدائدُ الضراب^(٤)

وتشبيه المرأة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، متى أريد استدارة متألئي متضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرأة والدينار وبين الجرّمين ، فإنه ليس شئ من ذلك بمنظور إليه في التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز :

والليل كالحلّة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم^(٥)

= كان المراد تشابههما في الحمرة ، ويجوز أن يكون أنهما تشابهها في الصفاء . وأبو إسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال .

(١) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والقَدَح : الكأس ، والمراد تشابههما في الصفاء ، وقوله « فكأنما خمر الخ » لتأكيد ادعاء التساوي ، و(كأنما) فيه للشك لا للتشبيه ؛ لأن التقدير فكأنما خمر موجود .

(٢) لأنه يجوز مع قصد التساوي أن يجعل أحد الطرفين مشبهاً لفرض من الأغراض كأن يكون الكلام فيه ، فيتقدم لهذا الغرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف الآخر فيكون مشبهاً به .

(٣) فلا يكون هناك قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء لأنه مع هذا يكون ذلك من التشبيه الذي يراد به إلحاق الناقص بالكامل .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضراب آلات السك .

(٥) الحلّة : كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطراز : علم الثوب ، والمرقوم : المخطّط .

فإنه تشبيهٌ حسن مقبول ، وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطرز فى الامتداد والانبساط شديداً .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه - :

وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه فأربعة أقسام :

الأول: تشبيه المفرد بالمفرد : وهو ما طرفاه مفردان : إما غير مُقَيَّدَيْن ، كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ^(١) فإن قلتَ : ما وجه الشبه فى الآية ؟ قلتُ : جعله الزمخشري حَسَباً ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كلُّ واحد منهما على صاحبه فى عناقه شَبَّهَ باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدى :

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عَظْفَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً ^(٢)

وقيل : شَبَّهَ كلُّ واحد منهما باللباس للآخر ؛ لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعودة ^(٣) .

وإمّا مُقَيَّدَانِ ^(٤) كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شئ : « هو كالقابض على الماء ، وكالراقم فى الماء » ؛ فإن المشبه هو الساعى لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقاً بل مقيداً

(١) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٢) هو للنابغة الجعدى حسان بن قيس ، والضجيج : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد ، وقوله « ثنى عطفها » بمعنى ردَّ جنبها إليه .

(٣) على هذا يكون وَجْهُ الشبه عقلياً .

(٤) أى بجار ومجرور أو مفعول أو نحوهما ، بشرط أن يكون القيد معتبراً فى التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾ لأن الجار والمجرور غير معتبر فى تشبيههن باللباس ، والفرق بين الطرف المقيد والطرف المركب أن المركب يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد فقيده شرط فى الطرف لا جزء منه ، وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته فى علم البيان ، والأحسن إدخال المقيد فى المركب .

بكون قبضه على الماء أو رَقْمه فيه ؛ لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك ؛ لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد في هاتين الصورتين هو الجارّ والمجرور . ونحوهما قولهم : « هو كمن يجمع سيفين في غمد »^(١) وقولهم « كمتغى الصيد في عريسة الأسد »^(٢) وقد يكون حالاً ، كقولهم : « هو كالحادي وليس له بعير »^(٣) .

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إِنِّي وَتَزِينِي بَمَدْحِي مَعْشَرًا كَمُعَلَّقٍ دُرًّا عَلَى خَنْزِيرٍ^(٤)

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فمُتَعَلِّقُ التزيين أعنى قوله « بمدحي » داخل في المشبه ، والمشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعليقاً إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلتها ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ؛ لأن الشيء غير قابل للتزيين ؛ فالواو في قوله « وتزييني » بمعنى مع ؛ إذ لا يمكن أن يقال إني كذا وإن تزييني كذا^(٥) لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً

(١) يُضْرَبُ مثلاً للمستحيل .

(٢) يُضْرَبُ مثلاً لمن يطلب الشيء من غير موضعه .

(٣) يُضْرَبُ مثلاً للرجل يتنفخ بما لا يملك .

(٤) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي ، والواو في قوله « إني وتزييني » للمعية ، وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب في تحقيق التشبيه في البيت ، وقيل : إنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعية ؛ لأنه ليس من شرط العاطفة ألا تفيد هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركباً لا مقيداً .

(٥) يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها للمعية لا يمنع أن تكون للعطف .

عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيينى ، لا يقال تقديره : إنى كمعلق درأً على خنزير ، وإن تزيينى بمدحى معشراً كتعليق درُ على خنزير ؛ لأنه لا يُتصور أن يشبه المتكلم نفسه - من حيث هو هو - بمعلق درأً على خنزير ، بل لا بُدَّ أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً .

واما مختلفان ، والمقيّد هو المشبّه به ، كقوله :

*** والشمسُ كالمرأة فى كفّ الأشل^(١) ***

فإنَّ المشبّه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبّه به هو المرأة لا على الإطلاق بل بقيد كونها فى يد الأشل .

أو على عكس ذلك ؛ كتشبيه المرأة فى كفّ الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثانى تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان ، كما فى قول البحرى :

ترى أحجّالهُ يَصْعَدْنَ فيه صُعُودَ البرق فى الغيمِ الجَهَامِ^(٢)

لا يريد به تشبيه بياض الحُجُول على الانفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين^(٣) بالآخر ، وكذلك المقصود فى بيت بشار^(٤) ، ولذلك وجب الحكم بأن (أسيفنا) فى حكم الصلة للمصدر^(٥) ، ونصبّ الأسيف لا يمنع من تقدير الاتصال ؛ لأن الواو فيها بمعنى مع^(٦) ،

(١) انظر ص ٢٣ .

(٢) الأحجال : جمع حجل وهو البياض فى رجل الفرس ويجمع أيضاً على حجول . والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه ، يشبّه الفرس أثناء عدوه بذلك .

(٣) البياض والسواد .

(٤) انظر ص ٢٥ : كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليلٌ نهاوى كواكبه

(٥) هو « مثار » لأنه مصدر ميمى .

(٦) يجوز جر الأسيف عطفاً على قوله : رؤوسنا .

كقولهم « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ». وما ينبئ على ذلك أن قوله « تهاوى كواكبُه » جملة وقعت صفةً لليل ؛ فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال : « ليل وكواكب » .
وأما بيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)

فهو على خلاف هذا ؛ فإن أحد الشئيين فيه فى الطرفين معطوف على الآخر ، أما فى طرف المشبه به فيين ، وأما فى طرف المشبه فلأن الجمع^(٢) فى المتفق كالعطف فى المختلف ؛ فاجتماع شئيين أو أشياء فى لفظ تشبيه أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدها فى حكم التابع للآخر ، كما يكون ذلك إذا جرى الثانى صفةً للأول أو حالاً منه أو ما أشبه ذلك ، وقد صرح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله « رطباً ويابساً »^(٣) .

وهذا القسم ضربان : أحدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والصُّبْحُ تحت اللَّيْلِ بادٍ كطِرفٍ أَشْهَبٍ مُلْقَى الجِلال^(٤)

(١) يصف عقاباً بكثرة الصيد ، والوكر : عش الطائر ، والعناب : شجر حبه كحب الزيتون أحمر ، والحشف : أردأ التمر ، شبه الرطب من القلوب بالعناب ، واليابس بالحشف البالى .

(٢) يعنى الجمع فى قوله « قلوب » .

(٣) فالتشبيه فى البيت ليس من تشبيه المركب بالمركب ، وإنما هو من التشبيه المتعدد الطرف كما سيأتى .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى قوله « غدا » يرجع إلى الساقى فى قوله قبله :

وساقى يجعل المنديلَ منه مكانَ حمائلِ السيفِ الطَّوالِ

والبادى : الظاهر ، والطرف : الفرس الكريم ، والأشهب : الأبيض ، والجلال : جمع جل وهو للدابة كالثوب للإنسان ، والمراد أنه أدير عن ظهره حتى تكشف أكثر =

فإن الجلال فيه فى مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيئاً . وكقول الآخر :

كأنما المَرِيخُ والمُشْتَرَى قُدَّامَهُ فى شَامِخِ الرِّقْعَةِ
منصَرِفٌ بالليلِ عن دَعْوَةٍ قد أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعُهُ (١)
فإن المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : « كأن المريخ
منصرف بالليل عن دعوة » كان خلفاً من القول (٢) .

والثانى : ما يصحُّ تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من
أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله :

وكان أجرام النجوم لوامعاً دُرٌّ تُثْرَنَ على بساط أزرق (٣)

فإنه لو قيل : كأن النجوم درر ، وكان السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً
صحيحاً ، لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً
وعجباً من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها
الصفية ؟ .

تشبيه المفرد بالمركب : الثالث تشبيه المفرد بالمركب ، كما مرَّ من تشبيه
الشاة الجبلَى والشقيق والنيلوفر (٤) .

= جسده ، لا أنه رمى به جملةً حتى انفصل منه ؛ لأنه مع هذا لا يأتى ذلك التشبيه ؛
لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول
ذى الرمة فى وصف الصبح :

وقد لاح للساى الذى كَمَلَ السُّرَى على أُخْرِيَّاتِ الليلِ فتقُّ مُشَهَّرُ
كمثل الحصانِ الأَنْبَطِ البطنِ قائماً تمايلُ عنه الجُلُّ واللونُ أَشَقَرُ
(١) هما لعلى بن محمد المعروف بالقاضى التنوخى ، والمريخ : من النجوم السيارة
وهو أقربها إلى الشمس ، والمشتري : من النجوم السيارة أيضاً .

(٢) الخلف : الردى من القول .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) انظر ص ١٤ ، ١٥ .

تشبيه المركب بالمفرد : الرابع تشبيه المركب بالمفرد ، كقول أبي تمام :

يا صاحِبِيَّ تَقْصِيًا نَظْرِيكُمَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ^(١)

تريا نهاراً مُشَمْساً قد شابههُ زَهْرُ الرُّبَا فكأنما هو مُقْمَرُ^(٢)

يعنى أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاتفه قد صار لونه إلى الاسوداد ، فنَقَصَ من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

التشبيه الملفوف والمفروق : وأيضاً إن تعدد طرفاه^(٣) فهو إما ملفوف أو مفروق ؛ فالملفوف ما أُتِيَ فيه بالمُشَبَّهَيْنِ ثم بالمُشَبِّه بهما ، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي^(٤)

وغير الملفوف بخلاف ذلك^(٥) كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مَسْكٌ وَالْوَجْهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ^(٦)

ومنه قول أبي الطيب :

(١) قوله « تقصياً نظريكما » بمعنى أبلغاه أقصاه ، وقوله « تصور » أصله تتصور بمعنى تشكّل . والمراد ترياهما قائلين ذلك على وجه التعجب ، فالاستفهام مقول لقول محذوف :

(٢) النهار المشمس : الذى لا غيم فيه ، وقوله « شابه » بمعنى خالطه ، والربا : جمع ربوة وهى الأرض المرتفعة ، ومقمر : صفة لمحذوف تقديره ليل مقمر . وإنى أرى أنه لا حاجة إلى تقدير هذا المحذوف ، والمراد أن نبات الربا مع زهره قد خالط النهار المشمس ؛ لأن خضرة النبات داخلة أيضاً فى ذلك التشبيه .

(٣) إنما يستحق التشبيه المتعدد الطرفين الفضيلة من حيث اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة فى عين التشبيه ؛ ولهذا كان التشبيه المركب أفضل من المتعدد .

(٤) انظر ص ٤٦ .

(٥) هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك .

(٦) النشر : الرائحة الطيبة أو الرائحة عموماً ، والعنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا فى الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً واحداً متعدد الطرفين ، ومثله كل ما يقال له تشبيه مفروق ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقة بشيء واحد كالنسوة فى هذا البيت ، فيمكن جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنِيرًا وَرَّتَتْ غَزَالًا^(١)

تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول ، أعنى المشبه دون الثاني ، سُمى تشبيه التسوية ، كقول الآخر :

صُدَّغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وشغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى^(٢)

وإن تعدد طرفه الثانى - أعنى المشبه به دون الأول - سُمى تشبيه الجمع ، كقول البجترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤٍ مُنْضِدٍ أو بَرْدٍ أو أَقَاحٍ^(٣)
ومثله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخُرَامِ وَنَشْرَ الْقَطْرِ^(٤)
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ^(٥)

(١) الخوط : الغصن الناعم ، والبان : شجر معتدل القوام لِين ورقه كورق الصفصاف . وقوله « رنت » بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال .
(٢) الصدغ : ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضع وهو المراد هنا ، والشعر : الفم أو مقدم الأسنان ، والثانى هو المراد هنا . وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ؛ لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر .
(٣) المنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان وهو ورد له نَوْرٌ أوراقه فى شكلها أشبه شئ بالأسنان ، والمشبه محذوف تقديره كأنما يبسم عن شغره كلولؤ ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٤) المدام : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامى : نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر : عود يتبخر به .

(٥) قوله « يعل به » بمعنى يُسقى مرة بعد مرة . والضمير فى « به » للمذكور من المدام وما عطف عليه ، والجملة حال منه ، وقوله « برد أنيابها » خبر كأن ، والطائر المستحِر : هو الديك الذى يصوَّت بالسَّحَر ، يعنى أنها طيبة الفم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه ؛ فالتعدد هو المشبه =

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع^(١)

أقسام التشبيه باعتبار وجهه :

وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومُجمل ومُفصل ، وقريب وبعيد .

التمثيل :

التمثيل ما وَجَّهَهُ وَصَفٌ مُتَنَزِعٌ من متعدد؛ أمرين أو أمور^(٢)، وقيدَه السكاكى بكونه غير حقيقى^(٣) ومثّل بصورٍ مثّل بها غيره أيضاً، منها قول ابن المعتز :

اصبرْ على مضض الحسو د فإنَّ صبرك قاتله
فالنارُ تأكلُ نفسَهَا إنْ لَمْ تَجِدْ ما تأكله^(٤)

فإنَّ تشبيه الحسود المتروك مُقاولته مع تَطَلُّبه إليها لينالَ بها نفثة مصدور بالنار التى لا تُمدُّ بالحطب فى أمر غير حقيقى^(٥) متنزّع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء .

= به ، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة ، وقيل : إن « برد » نائب فاعل يعلّ ، على معنى أنه يظن أن برد أنيابها مُزج بالغمام وما عُطف عليه لأنه يشبهها ، فيكون تشبيهاً ضمناً . هذا واللف والتفريق والتسوية والجمع فى تلك الأقسام الأربعة من المحسنات البديعية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام فى ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعنى أن يكون وجهه مركباً مطلقاً ، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ؛ فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقى وغيره .

(٣) أى مع كونه مركباً ، وهو عند عبد القاهر ما كان وجهه غير حقيقى ولو كان مفرداً ، وعند الزمخشرى يرادف التشبيه ، والمراد بالحقيقى الحسى كالحمرة ، والعقلى الغريزى كالشجاعة ونحوها من الغرائز ، ولا بدّ عند عبد القاهر من التأول فى التمثيل كما وضّحه فى أسرار البلاغة ، فلا يكفى فيه مجرد كونه غير حقيقى .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض : مصدر مضّ من الشيء بمعنى شق عليه وآله ، والتشبيه فى البيتين ضمناً .

(٥) فى نسخة شروح التلخيص « فى أمر حقيقى » وكذلك فيما سيأتى ، ولعله فهم من قوله « غير حقيقى » أنه يريد به ما كان وهمياً كما تُوهمه بعض عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك ؛ لأنه مثّل بصورٍ مثّل بها غيره عن خالف مذهبه .

ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ مَنْ أدَّبَتْهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُونِقًا نَاصِرًا بعد الذي أبصرتَ مِنْ يُسِّهِ (١)

فإن تشبيه المؤدّب في صباه بالعود المسقى أو أن غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدّب في صباه مهذب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته ، وكون العود المسقى أو أن غرسه مونقاً بأوراقه ونضرت له لسقيه المصادف وقته من تمام الميل (٢) وكمال الاستحسان بعد خلاف ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٣) فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر غير حقيقى متزع من متعدد ، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب .

غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك ، كما سبق في الأمثلة المذكورة (٤) .

المجمل : والمجمل ما لم يُذكر وجهه ؛ فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا « زيد أسد » ؛ إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها .

(١) المونق : تخفيف مؤنق ، يقال « أنتق أنقاً » إذا كان حسناً معجباً ، وفي رواية : مورقا ، والناصر : اسم فاعل من نضر بمعنى نعم وحسن وكان جميلاً .

(٢) هذا بيان لما في قوله « فيما يلزم كل واحد » ومن قوله « من كون المؤدّب إلخ » بيان لكل واحد ، وعبارة السكاكي في ذلك أوضح من هذه العبارة .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

(٤) أى للتشبيه قبل التمثيل .

ومنه ما هو خَفِيَ لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة ،
 كقول مَنْ وصفَ ^(١) بنى المهلب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيَّهم أنجدُ :
 « كانوا كالحلقة المفرغة ^(٢) لا يُدرى أين طرفاها » . أى لتناسب أصولهم
 وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفضل منهم ، كما أن
 الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً ^(٣) هكذا
 نسبة الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بنى المهلب ^(٤) ، ونسبه الشيخ جارُ الله
 العلامة ^(٥) إلى الأغمارية ، قيل : هى فاطمة بنت الخُرْشُب سلت عن بنيتها أيُّهم
 أفضل ؟ فقالت : عُمارةٌ ، لا ، بل فلانٌ ، لا بل فلانٌ ، ثم قالت :
 « ثكلتُهم إن كنت أعلم أيُّهم أفضلُ ^(٦) » ؛ هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين
 طرفاها .

وأيضاً منه ما لم يُذكر فيه وصفُ المشبه ولا وصف المشبه به ^(٧) كالمثال
 الأول ^(٨) . ومنه ما ذُكر فيه وصف المشبه به وحده كالمثال الثانى ^(٩) ونحوه
 قول زياد الأعجم :

(١) هو كعب الأشقرى .

(٢) أى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب .

(٣) ما ذكره من الأمرين يتضمن وجه المشبه ، وليس به ؛ لأن الأول مختص
 بالمشبه ، والثانى مختص بالمشبه به ، وإنما وجَّه الشبه هو الأمر الكلى الخالى عن التفاوت ،
 ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غايةٌ فى الدقة ؛
 فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

(٤) ١٠٦ - أسرار البلاغة .

(٥) هو الزمخشري ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه من الأغاربة .

(٦) « أى » فى قولها « أيُّهم » يجوز أن تكون استفهامية عقلت « أعلم » عن
 العمل فى معموليها ، وأن تكون موصولة فى محل نصب مفعول أول ، و « أفضل » خبر
 مبتدأ محذوف ، والجملة صلة ، والمفعول الثانى محذوف تقديره كائناً منهم .

(٧) يعنى وصفهما الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق وصف .

(٨) هو : زيد أسد .

(٩) هو : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

وإنّا وما تُلقَى لنا إن هَجَوْتُنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا تُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرُقُ^(١)
وكذا قول النابغة الذبياني :

فإنك شمسٌ والملكُ كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ^(٢)
ومنه ما ذُكِرَ فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبي تمام :

صدفتُ عنه ولم تصدفْ مواهبُهُ عَنِّي وعَاودُهُ ظَنِّي فَلَمْ يَخْبِ^(٣)

كالغيثِ إن جِئْتُهُ وَأَفَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ^(٤)
المفصَّل : والمفصل ما ذُكِرَ وجهه^(٥) ، كقول ابن الرومي :

يا شبيهَ البدرِ في الحسَنِ نِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَالِ^(٦)

جُدْ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرُ رُةً بِالْمَنَاءِ الزُّلَالِ^(٧)

وقول أبي بكر الخالدي :

يا شبيهَ البدرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا

(١) فالمشبه به البحر ، والجُملة بعده حال منه فهي صفة له ، ووجه الشبه عدم ظهور الأثر في كل منهما ، وفي وصف البحر بذلك إشارة إليه ، وفي رواية : مهما يُلْقَى .

(٢) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان بن المنذر ، والمشبه به فيه الشمس والكواكب ، وجُملة « إذا طلعت لم يبد منها كوكب » صفة تنبئ عن وجه الشبه .

(٣) قوله « صدفتُ » بمعنى أعرضت ، والمواهب : الهبات .

(٤) قوله « وأفاك » بمعنى أتناك ، ريقه : أوله أو أفضله ، وقوله « لج » بمعنى ألح . وصفة المشبه به يتضمنها البيت الثاني ، وفيهما إشارة إلى وجه الشبه وهو الإفاضة في حال الإعراض وفي حال الطلب .

(٥) أي بنفسه أو بما يستتبعه كما سيأتي .

(٦) هما لعلی بن العباس المعروف بابن الرومي ، والمثال : مصدر ميمي بمعنى التناول أو اسم مكان ، يعني بذلك بُعد وصاله وأنه كالبدْر في بعد مناله .

(٧) قوله « جد » يعني بالوصال ، والماء الزلال : هو العذب الصافي الذي يمر

سريعاً في الخلق .

وشبيه الغصن ليناً وقوماً واعتدالا .
أنت مثلُ الورد لوناً ونسيماً وبلالا (١)
زارناً حتى إذا ما سرّنا بالقرب زالا

وقد يُتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه (٢) كقولهم فى وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان لتناثر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تُستكره لكونها غير مألوفة ، ولا بما تبعّد دلالتها على معانيها : « هى كالعسل فى الخلاوة ، وكالماء فى السلاسة ، وكالنسيم فى الرقة » وقولهم فى الحُجة إذا كانت معلومة الأجزاء يقينية التأليف بينة الاستلزام للمطلوب : « هى كالشمس فى الظهور » ، والجامع فى الحقيقة لازم الخلاوة وهو ميل الطبع ، ولأزم السلاسة والرقة وهو إفادة النفس نشاطاً وروحاً (٣) ، ولأزم الظهور وهو إزالة الحجاب (٤) ؛ فإن شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذى يلذ طعمه فتَهشُّ النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذى يسوغ فى الخلق ، ومع النسيم الذى يسرى فى البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً وروحاً ، وشأنها مع الشبهة التى تمنع القلب إدراك ما هى شبهة فيه ، كشأنها مع الحجاب الحسى الذى يمنع أن يُرى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه .

(١) البلال : بثليث الباء الثدوة ، ويروى « ملالا » فيكون من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة . وأبو بكر الخالدى هو محمد بن هاشم .
(٢) ذهب السبكي إلى أن المذكور هو وجه الشبه ، ولا داعى إلى ذلك التأول ؛ لأنه إذا لم يكن موجوداً فى المشبه حقيقة فهو موجود بالتخيّل ، ولكن هذا التأول لا بدّ منه عند عبد القاهر ؛ لأنه هو المعولّ عليه عنده فى الفرق بين التمثيل والتشبيه .
(٣) أى راحة .

(٤) أى المانع حسياً كان أو عقلياً ، وإنما كان وجه الشبه لازم ذلك لأنه هو المشترك بين الطرفين .

قال الشيخ صاحب المفتاح^(١): «وتسامحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري كالذي نحن فيه^(٢)، وأقول: يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا^(٣). انتهى كلامه .

القريب المُبتدل :

والقريب المبتدل ، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ؛ لظهور وجه في بادئ الرأي ، وسببُ ظهوره أمران :
الأول : كونُ الشبه أمراً جُملياً^(٤) ؛ فإن الجملةَ أُسبِقُ أبداً إلى النفس من التفصيل ؛ ألا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل : « النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم يُنعم النظر » وكذا سائر الحواس ؛ فإنه يُدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يتغنى الشيء من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشيء جزأفاً ، وكذا حكمُ ما يُدرك بالعقل ، ترى الجُمْلَ أبداً تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرؤية .
والثاني كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء

(١) ص ١٨٢ - المفتاح .

(٢) هو كلُّ من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً وروحاً وإزالة الحجاب .

(٣) يعني بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسي وعقلي وهو في التحقيق عنده لا يكون إلا عقلياً مبنياً على هذا التسامح ؛ لأنهم لما جعلوا ملزوم وجه الشبه من وجه الشبه ، جاز أن يكون وجه الشبه حسياً ؛ لأن ملزوم العقلي قد يكون حسياً .

(٤) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة ، أو يكون مركباً لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس في الحيوانية ، والقرب والابتدال ، وكذا البعد والغربة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ؛ فالقريب قريب وإن قل استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله .

بالإجاصة^(١) فى الشكل وفى المقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك . وإما مطلقاً لتكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة فى الاستدارة والاستتارة ؛ فإن قرب المناسبة والتكرّر كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال .

البعيد الغريب : والبعيد الغريب ؛ وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لحفاء وجهه فى بادئ الرأى ، وسبب خفائه أمران : أحدهما : كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرأة فى كف الأشل^(٢) ؛ فإن ما ذكرناه من الهيئة^(٣) لا يقوم فى نفس الرأى للمرأة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملاً ، ويكون فى نظره متمهلاً .

والثانى : ندور حضور المشبه به فى الذهن إمّا عند حضور المشبه ؛ لبعده المناسبة بينهما ، كما تقدّم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت^(٤) وإمّا مطلقاً لكونه وهمياً أو مركباً خيالياً أو مركباً عقلياً ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال^(٥) ، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد^(٦) ، تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً^(٧) ؛ فإن كلاً سبب لندرة حضور المشبه فى الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرأة فى كف الأشل^(٨) ؛ فإنه ربما يقضى الرجلُ دهره ولا يتفق له أن يرى امرأة فى يد الأشل ، فالغربة فى هذا التشبيه من وجهين^(٩) .

(١) الإجاصة : واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيد حلو .

(٢) انظر ص ٢٣ ، والشمس كالمرأة فى كف الأشل .

(٣) يعنى وجه الشبه فيه .

(٤) انظر ص ٣٧ .

(٥) انظر ص ٣٧ ، وهو مثال للوهمى .

(٦) انظر ص ١٤ ، وهو مثال للمركب الخيالى .

(٧) انظر ص ٢٩ ، وهو مثال للمركب العقلى .

(٨) انظر ص ٢٣ .

(٩) هما كثرة التفصيل ، وندرة الحضور فى الذهن .

والمراد بالتفصيل أن يُنظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلبُ الأعرفُ منها وجهان :

أحدهما أن تأخذَ بعضاً ^(١) وتدعَ بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حملتُ رُدَيْنِيَا كَانَ سَنَاثُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ ^(٢)
فَفَصَلَ السَّنَا عَنِ الدُّخَانِ وَأَثَبْتَهُ مَفْرَدًا ^(٣) .

والثاني أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله :

وقد لاحَ في الصبحِ الثُّرَيَّا كما تَرَى كَعُنُقُودٍ مُلَاحِيَةٍ حِينَ تَوَرَّا ^(٤)
فإنه اعتبر من الأنجم الشكلَ والمقدارَ واللونَ واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحية .

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ ^(٥) فإنها عشر جمل إذا فصلت ^(٦) ، وهى وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة ، فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدةً واحدةً ، ثم إن الشبه متترعٌ من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، حتى لو حُذِفَ منها جملة أُخِلَ ذلك بالمغزى من التشبيه .

(١) أى من الأوصاف .

(٢) قد سبق هذا البيت في الكلام على الإيغال من الإطناب في الجزء الثانى ، وقد فضله عبد القاهر من ناحية التفصيل والإجمال على قول عنترة : يُتَابِعُ لَا يَتَبَعْنِي غَيْرُهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمَلْتَهَبِ .

(٣) فزاد السنا بهذا تألقاً وضياء . (٤) انظر ص ٢٢ . (٥) سورة يونس : ٢٤ .

(٦) وتفصيلها - أنزلناه . فاختلط . مما يأكل . حتى إذا أخذت . وازيدت وظن .

أنهم قادرون . أتاه . فجعلناها . كأن لم تغن .

ومن تمام القول فى هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت فى جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلى نكرة فتكون صفة لها ، كما فى هذه الآية ، وعليه قول النبى ﷺ : « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ^(١) » والثانى أن تلى معرفة هى اسم موصول فتكون صلة له ، كقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ ^(٢) الآية ، والثالث أن تلى معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافاً ^(٣) كقوله عز وعلا : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ ^(٤) .

ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز :

كأنّا وضوءُ الصبح يستعجل الدجى نُطيرُ غراباً ذا قوادِمِ جُونِ ^(٥)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوءُ الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون قوادِم ريشها بيضاء ؛ لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيتها من حيث يلى معظم الصبح وعموده لُمعُ نورٍ ^(٦) يُتخيل منها فى العين كشكل قوادِم ببيض ، وتقام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل فى

(١) الإبل فى اللغة : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والراحلة : الناقة الكريمة ؛ فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد فى كل مائة منهم رجل كريم ، ويجوز رفع مائة على أنه مبتدأ ، أى مائة منها ، فتكون جملة مستأنفة .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) لأن قوله تعالى فى الآية الآتية : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ يشير إلى سؤال

تقديره : ما مثله ؟ فيكون قوله تعالى : ﴿ اتخذت بيتاً ﴾ جوابه .

(٤) سورة العنكبوت : ٤١ .

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة . والقوادِم :

أوائل ريش الطائر ، والجون : جمع جُون وهو الأبيض أو الأسود ، والمراد هنا الأبيض .

(٦) « لمع نور » فاعل « تقع » ، ومعظم الصبح : فاعل « بلى » ، يعنى أن هذه

اللمع تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفى بعض النسخ « تلى » ففاعله يعود على الفرق ، ومعظم الصبح مفعوله .

حركاتها ، ثم لما راعى ذلك فى التشبيه ابتداءً راعاه آخرًا حيث قال « نُطِير غراباً » ولم يقل « غراب يطير ونحوه » لأن الطائر إذا كان واقعاً فى مكان فأزعج وأطير منه ، أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدعى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيار ؛ فإنه حينئذ يجوز ألا يسرع فى طيرانه ، وأن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى :

كَعُطْفَةِ الْجَيْمِ بِكَفٍّ أَعْسَرَا (١)

غير خاف أن الجيم خطآن : أولهما الذى هو مبدؤه ، وهو الأعلى ، والثانى الذى يذهب إلى اليسار . وإذا لم يوصل بها (٢) فلها تعريق (٣) . والمنقار إنما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال « كعطفة الجيم » ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر ؛ لأن جيم الأعسر يقال إنه أشبه بالمنقار من جيم الأيمن (٤) ، ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

(١) قبله :

كَأَنَّ عَيْنَهُ إِذَا مَا أَثَارَا فَصَّانَ قِيضًا مِنْ عَقِيٍّ أَحْمَرَا
فِي هَامَةِ غَلْبَاءَ تَهْدَى مَنْسَرَا

وقوله - أثار - بمعنى أدرك ثأره ، وقوله « قِيضًا » بمعنى شقًا ، والهامة : رأس كل شئ وتطلق على الجثة . والغلباء : القوية . ويروى « علياء » . وقوله « تَهْدَى » بمعنى تتقدم ، والمنسر : كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح ، وعطفة الجيم : خطها الأعلى ، والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) يعنى إذا لم يوصل بها حرف آخر بأن كانت مفردة أو آخر كلمة .

(٣) التعريق : هو أن يعطف بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو

الشأن دائماً فى الجيم المفردة .

(٤) لأن الحركة فى جيم الأعسر أكثر انحرافاً .

يقولُ مَنْ فيها بعقلٍ فكراً

لو زادها عيناً إلى فاءٍ وراً فاتصلت بالجيم صارت جَعْفَراً (١)

فأبان أنه لم يدخل التعريقُ في التشبيه لأن الوصل يُسقطه أصلاً ، ولا الخطَّ (٢) الأسفل وإن كان لا بد منه مع الوصل ، لأنه قال « فاتصلت بالجيم » أى بالعطفة المذكورة ولم يقتصر على قوله « لو زادها عيناً إلى فاء ورا » ؛ ولأجل هذا التدقيق قال : « يقول مَنْ فيها بعقل فكراً » ؛ فبه على أن بالمشبه حاجةً إلى فضل فكر ، وأن يكون فكره فكر من يراجع عقله .

وإذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرئ القيس في وصف السنان (٣) أعلى طبقة من قول الآخر :

يتابع لا يتغنى غيره بأبيض كالقبس الملهب (٤)

لخلو الثاني عن التفصيل الذي تَضَمَّنَه الأول ، وهو قَصْرُ التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع في الخاطر أول وهلة ، بل لا بد فيه من أن يتثبت وينظر في حال كل من الفرع والأصل ،

(١) را : مقصور راء ، وفاعل « اتصلت » يعود إلى العين ، وقوله « صارت جعفراً » يعنى صارت كلمة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله « يقول من فيها بعقل فكراً » لكان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب الفصحاء ؛ لأنه لا يجهل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء تصير جعفرأ ، ثم إن هذا لا يدخل في صفة البازي ، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم لا تغادر من شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرأ لشدة شبهها بها .

(٢) فلو كان الخط الأسفل داخلاً في التشبيه لم يقل ذلك ؛ لأن العطفة مع ذلك الخط لا تحتاج في اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٣) انظر ص ٥٧ .

(٤) هو لعنترة العبسي ، والضمير في قوله « يتابع » لورد بن حابس ، وفي قوله « غيره » لنضلة الأسدي ، وكان لورد ثاراً عنده ، والقبس الملهب : هو النار الموقدة فالشبه به واحد في البيتين .

حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئاً يقدح في حقيقة التشبيه ؛ وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة .

وكذا قوله :

وكانَّ أجرامَ النجومِ لوامِعاً دُرَّرَ نُثْرُنٌ على بساطٍ أزرق^(١)
أفضل من قول ذي الرُّمَّة :
كانها فضةٌ قد مسَّها ذهبٌ^(٢)

لأنَّ الأوَّلَ مما يندر وجوده دون الثاني ؛ فإنَّ الناسَ أبداً يرون في الصياغات فضةً قد موَّهتْ بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد دُرَّرٌ قد نُثِرْنَ على بساطٍ أزرق .

وكذا بيتُ بَشَّار^(٣) أعلى طبقةً من قول أبي الطيب :

يزورُ الأعادي في سماءٍ عجاجة أسْتَه في جانبيها الكواكبُ^(٤)
وكذا من قول الآخر :

تَبْنى سَنابِكُها مِن فَوْقِ أرْؤُسِهِم سَقَفاً كواكبُه البياضُ المباتيرُ^(٥)

(١) انظر ص ٢٣ ، ٤٧ .

(٢) هو من قوله :

كحلاءُ في بَرَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهبٌ
والبرَج : أن يكون بياضُ العين محدقاً بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء ، أو نجلُ العين وسعتها ، والنعج : البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص ، وهو محمود عندهم .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) العجاجة : الغبار ، والأسنة : جمع سنانٍ وهو نصل الرمح .

(٥) هو لكلثوم بن عمرو العتابي ، وفي أسرار البلاغة أنه لعمرو بن كلثوم ، ولعله تحريف من الناسخ ، والسنايك : جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وقوله « سَقَفاً » بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبياض المباتير : هي السيوف القواطع ، والمباتير : جمع مبتار صيغة مبالغة من « بتر » بمعنى قطع .

لأن كل واحدٍ منهما وإن راعى التفصيل فى التشبيه فإنه يقتصر على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف فى أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبّر عن هيئة السيوف وقد سلّت من أغمادها وهى تعلو وترسب وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلاً ؛ لأنها لا تقع فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها فى الضرب اضطراباً شديداً وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، ثم هى باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها بعضاً ، ثم أشكالها مستطيلة ، فنبّه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله « تهاوى » لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ثم كان لها فى التهاوى توقع وتداخل ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر فى الآذريون :

مَدهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا عاليه (١)

أعلى وأفضل من قوله فيه :

ككأس عقيق فى قراراتها مسك (٢)

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سقياً لروضات لنا من كل نور حاله
عيون آذريونها للشمس فيها كاليه

والنور : الزهر ، والآذريون : ورد له أوراق حمراء فى وسطه سواد له نبوءة وارتفاع وقد يكون أصفر ، وهو معرب آذرجون أى لون النار . وكالية : اسم فاعل من - كالأ - ومعنى كلاءتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت . والمداهن : جمع مذهب وهو حق الدهن ، والغالية : أخلط من الطيب .

(٢) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطاف بها ساق أديب بميزل كخنجر عيار صناعته الفتك
وحمل آذريونه فوق أذنه ككأس عقيق فى قراراتها مسك

والميزل : ما يصق به الشراب ، وهو شبه حلمة الضرع فى الدن ونحوه ، يسيل =

لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة - الموضوعة بإزائه الغالية والمسك - فيه أمران : أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثانى أنه لم يستدر في قعرها ، بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سُمكها من كل الجهات ، وله فى منقَطَعه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن إذا كانت بقيت بقيّة عن الأصابع ، وقوله « فى قرارتها مسك » يبيّن الأمر الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال : « فيها مسك » ولم يشترط أن يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقايا غالية » ؛ لأن من شأن المسك والشئ اليابس إذا حصل فى شئ مستدير له قعر أن يستدير فى القعر ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ بالأصابع فلا بد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم ، وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع - أعنى البعيد - لغرابته ^(١) ؛ ولأن الشئ إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيلُه أحلى ، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وهنَّ ينبذن من قولٍ يُصبَن به مواقعِ الماءِ من ذى الغلَّةِ الصَّادى ^(٢)

= الشراب منه ، والعيَّار : الكثير التجوُّل والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ، ووجهُ الشبه بين المبزل والخنجر : الاعوجاج فيهما ، وقد روى « وجوَل آذريونة » يعنى أنه أدار هذا الورد فوق آذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم . والعقيق : خرز أحمر .
(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ؛ لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض علماء البيان فى التشبيه البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شَيْم القطامى ، وقوله « ينبذن » بمعنى يرمين ويطحرن . ومن تبعيضية ، والغلَّة : الحرقه ، والصادى : الشديد العطش ، ومواقع : مفعول يصبَن .

لا يقال : عدمُ الظهور ضربٌ من التعقيد ، والتعقيدُ مذموم ؛ لأنَّنا نقول : التعقيد كما سبق له سببان : سوءُ ترتيب الألفاظ ، واختلالُ الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ . والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعانى على بعض ، كما يشعر بذلك قولنا ^(١) « فى بادىء الرأى » ؛ فإن المعانى الشريفة لا بدَّ فيها فى هالب الأمر من بناء ثانٍ على أول وردَّ تالٍ إلى سابق ، كما فى قول البحرى « دان على أيدى العفاة » البيتين ^(٢) . فإنك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانيًا وشاسعًا ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر ، ثم تُقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وتنظر كيف شرط فى العلو الإفراط ليشاكل قوله « شاسع » لأن الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب ، فقال : « جد قريب » فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر ، وهل شئٌ أحلى من الفكر إذا صادفَ نهجاً قويمًا إلى المراد ، قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة : « وأين تقع لذة البهيمية بالعلوفة ، ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه ؟ »

تحول القريب إلى بعيد : وقد يتصرف فى القريب المبتذل بما يخرج منه من الابتذال إلى الغرابة ، وهو على وجوه : منها أن يكون كقوله :

لَمْ تَلَقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ ^(٣)

(١) أى فى تعريف البعيد الغريب فيما سبق .

(٢) انظر ص ٨ .

(٣) هو لأبى الطيب فى مدح هارون بن عبد العزيز ، والتشبيه فيه ضمنى ؛ لأن وجه المدح إذا كان أعظم من الشمس فى الضياء لزم اشتراكهما فى أصله ، فيثبت التشبيه ضمناً ، وكأنه قال : هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط .

وقوله :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهِمٍ مِنْ جَانِبِ الْخِدرِ تَطْلَعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعٌ^(١)

فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث
الحياء في الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني أخرجه من
الابتذال إلى الغرابة . وشبيهه بالأول قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا^(٢)
ومنها أن يكون كقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقْوَالُ^(٣)
وقوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَابِلُ^(٤)

(١) هما لأبى تمام . والرغم : اسم فاعل من « رغم » كفرح وكرم بمعنى ذل .
وإنما حصل هذا لليل لزواله بطلوعها ، والضمير في « لهم » للخليط في البيت قبلهما
وهو يُطلق على الواحد والجمع ، والخذر : الستر الذي يمد للجارية أو ما يُفرد لها من
السكن أو كل ما يتوارى به ، وقوله « ألت » بمعنى نزلت ، وهو يشير بقوله « أم كان في
الركب يوشع » إلى قصة يوشع مع الشمس ، وسيأتى تفصيلها في الكلام على التلميح في
علم البديع ، والشاهد في قوله « بشمس لهم » : لأن تقديره : بجارية لهم كالشمس ،
وهذا استعارة لا تشبيه .

(٢) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس . والندى : الكرم ، ورواية
الديوان : « نداء » . وما في السحاب هو المطر ، يعنى أنها تستحي إذا شَبَّهَتْ نَدَاكَ بمطرها
لأنه أعظم منه ، وفي هذا تشبيه ضمنى أيضاً .

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والثواقب
: النوافذ ، والأقوال : الغروب .

(٤) هو لأبى تمام ، والمها : بقرة الوحش واحدة مهاة ، واسم الإشارة « هاتا »
يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا : الرماح واحدة قنأة ، والخط : اسم بلد تُصنع فيها ،
والذوابل : الجأفة ، واسم الإشارة « تلك » يعنى أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

وقوله :

يكادُ يحكيك صَوْبُ الغيثِ مُسْكِباً لَوْ كَانَ طَلَقَ المَحيَا يُمطرُ الذَّهبا
والبدو لو لم يَغِبْ والشمس لو نطقتُ والأُسْدُ لو لم تُصدَّ والبحرُ لو عَدَبَا^(١)
وهذا يُسمَّى التشبيه المشروط^(٢) .

ومنها أن يكون كقوله :

في طلعةِ البدرِ شَيْءٌ مِنْ مَحاسنها وللقضيبِ نصيبٌ مِنْ تَنبئها^(٣)
وقول ابن بابل :
ألا يا رياضَ الحزنِ مِنْ أبرقِ الحمى نَسِمْكَ مَسْبوقٌ ووصفُك منتحل^(٤)
حكيتُ أبا سعدٍ فَشَرُّكَ نَشْرُهُ ولكنْ له صِدْقُ الهوى وَلَكِ المَلَلُ^(٥)

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقوله :

كأنا يَسَمُّ عَنْ لَوْلُوٍ منضدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاخِ^(٦)

(١) هما لأحمد بن الحسين المعروف بديع الزمان الهمداني ، والغيث : المطر ، وصوبه : عطاؤه ، والمحيا : الوجه ، وطلق الوجه : ضاحكه .

(٢) إنما سُمِّيَ هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والغربة فيه ناشئة من كونه مشروطاً ، والشرط قد يكون في المشبه أو المشبه به أو فيهما .

(٣) هو للبحترى ، والمحاسن : جمع حُسْنٍ على غير قياس ؛ لأنه لا واحد له من لفظه ، والقضيب : الغصن ، والغربة في التشبيهين ناشئة من قلب التشبيه فيهما ، ويريد بتثنيها : تمايلها وتبخترها .

(٤) الحزن : الأرض الغليظة ، وأبرق الحمى : موضع ، ونسيمها : رائحتها ، ووصفها : نضارتها وبهجتها ، والمنتحل : اسم مفعول من « انتحل كذا » بمعنى ادعاه لنفسه وهو لغيره . وابن بابل هو عبد الصمد بن منصور .

(٥) النسر : الرائحة ، وصدق الهوى : ثباته ، والملل : السأم . يريد به سرعة زوال نضرتها من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، والغربة فيه ناشئة من قلب التشبيه أيضاً . وأبو سعد هو علي بن محمد بن خلف الهمداني .

(٦) انظر ص ٤٩ .

كما يزداد بذلك لطفاً و غرابةً ، كقوله :
لهُ أَيْطَلَا ظَنِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وإِرْخَاءُ سُرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ (١)
أقسام التشبيه باعتبار أدواته :
وأما باعتبار أدواته فإما مؤكّدٌ أو مرسلٌ :
والمؤكد: ما حذفت أدواته ، كقوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (٢)
وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ
وَسَرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٣) وقول الحماسي :
هُمُ الْبَحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تُلْقَى بِهِمْ بِهَمٍّ (٤)
إلى غير ذلك كما سبق (٥) . ومنه نحو قول الشاعر :
وَالرَّيْحُ تَعَبْتُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ (٦)
وقول الآخر يصف القمرَ لآخر الشهر قبل السَّرار :
كَأَنَّمَا أَدْهَمُ الْإِظْلَامُ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ الصَّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ (٧)

(١) هو لامرئ القيس في وصف فرسه ، وأَيْطَلَا الظبي : خاصرتاه ،
والسرحان: الذئب ، وإِرْخَاؤُهُ : جريه في سهولة ، والتنفل : ولد الثعلب ، وتقريبه :
عدوه ، وإنما زاد التشبيه هنا لطفاً لتعدد المشبه والمشبّه به فيه ، أما التشبيه قبله فلم يتعدد
فيه إلا المشبه به .

(٢) النمل : ٨٨ . (٣) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) هو لزياد بن حمل ، والبهم : واحد بهمة وهو الشجاع الذي لا يُدْرَى كيف
يؤتى لاستبھام شأنه .

(٥) في أمثلة التشبيه من أول بابهِ إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير من التشبيه المؤكد .
(٦) هو لإبراهيم بن أبي الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسي . والأصيل : ما بين
العصر والمغرب ، واللجين : الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكد هنا على طريقة مخالفة لما
سبق من أمثلة ، وهي إضافة المشبه به إلى المشبه في قوله « لجين الماء » . أما قوله « ذهب
الأصيل » فهو استعارة لا تشبيه .

(٧) هو لعبد الجبار بن حمديس الصقلي . والأدهم : الفرس الأسود ،
والأشهب : الفرس الأبيض . والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم ، والصبح بالفرس =

وقول الشريف الرضى :

أرْسَى النسيمُ يوادِكم ولا بِرَحَتْ حواملُ المَزْنِ فى أجداثكم تَضَعُ
ولا يزالُ جنينُ النبتِ تُرْضِعُه على قبوركُم العُرَاضَةُ الهمعُ^(١)
المرسل : والمرسل ما ذُكرت أداته ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِّى
اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾^(٢) وقوله عز وجل : ﴿ عَرَضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣)
وقول امرئ القيس :

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شُثْنٍ كَأَنَّهُ أسارِيعُ ظُبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ^(٤)
وقول البحترى :

وإذا الأسنَةُ خالطَتْها خِلَّتْها فيها خيالُ كواكبٍ فى الماءِ^(٥)
إلى غير ذلك كما تقدم^(٦) .

= الأشهب ، والقمر قبل السرار بالنعل الذى يكون فى رجل الفرس لمشابهته له فى الدقة
والانعطاف ، وقد جرى فى التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضاً ، أما
قوله « نعل حافره » فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

(١) هما لعلى بن موسى المعروف بالشريف الرضى ، وقوله « أرسى » بمعنى ثبت
وهى جملة دعائية ، والمزن : السحاب ذو الماء ، والأجداث : القبور ، والعراضة :
السحاب العريض ، والهمع : المطر ، والشاهد فى قوله « حوامل المزن ، وجرين النبت »
فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد : لجين الماء .
(٢) البقرة : آية ١٧ .

(٣) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٤) قوله « تعطو » بمعنى تتناول ، والرخص : اللين وصف لإصبعها ، والشثن :
الغليظ ، والأساريع : جمع أسروع وهو دود يكون فى البقل والأماكن التديّة تشبّه به
أنامل النساء فى عهدهم ، وظبى : اسم موضع ، والإسحل : شجر له غصون يُستاك بها .
(٥) الضمير فى « خالطتها » يعود إلى الدروع ، وفى « خلّتها » للأسنة ،
والأسنة : الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يبدو فى
الماء ؛ لأن الأسنة تكون لامعة كالقواكب والدروع تكون صافية كالماء .

(٦) فى أمثلة التشبيه فيما مضى إلى أول الباب ؛ لأن فيها كثيراً من أمثلة التشبيه

المرسل .

أقسام التشبيه باعتبار الغرض :

وأما باعتبار الغرض : فإما مقبول أو مردود .

المقبول الوافى بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبه به أعرفَ شيء بوجه الشبه^(١) إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار .
ثم الطرفان فى الثانى^(٢) إن تساويا فى وجه الشبه : فالتشبيه كامل فى القبول ، وإلا : فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال .
أو كأن يكون المشبه به أتمَّ شيء^(٣) فى وجه الشبه إذا قصدَ إلحاقَ الناقص بالكمال . أو كأن يكون المشبه به مُسَلَّمَ الحكم معروفة عند المخاطب فى وجه الشبه إذا كان الغرضُ بيانَ إمكان الوجود .
المردود : والمردود بخلاف ذلك ؛ أى القاصر عن إفادة الغرض^(٤) .



(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرفَ الطرفين بذلك ، ويكفى أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يُشترط فى وجه الشبه أن يكون صفة ظاهرة فى المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ؛ لأنه يصح أن يكون صفة خفية ، ولكن يجب بيانها فى التشبيه ، كقولك : « رأيت رجلاً كالأسد فى البحر » .

(٢) أى بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يشترط أيضاً إلا أن يكون المشبه به أتمَّ الطرفين فقط فى ذلك .

(٤) من التشبيه المردود قول الفرزدق :

يمشون فى حلق الحديد عليهم جُربُ الجمال بها الكحيل المشعل
شبه الرجال فى دروع الزرد بالجمال الحرب ، وهو مردود ؛ لأنه إن أراد السواد فلا مقارنة بينهما فى اللون ؛ لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فهو غير واضح مع ما فيه من السخف .

ومن ذلك قول الآخر فى وصف السهام :

كسأها رطيب الرئش فاعتدلت له قدام كاعتاق الأطباء الفوارق

لأن ما هذا حاله لا ملاءمة بين الطرفين فيه .

وقد قيل : إن جماعة جعلوا الابتذال مما يُردُّ به التشبيه ، فيكون التشبيه القريب المبتذل من المردود ، والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبة التشبيه البعيد الغريب .

خاتمة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبّه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلّها أو بعضها ثمان :

إحداها : ذكرُ الأربعة ، كقولك « زيد كالأسد فى الشجاعة » ولا قوة لهذه المرتبة ^(١) .

وثانيتهما : ترك المشبه ؛ كقولك « كالأسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالأولى فى عدم القوة ^(٢) .

وثالثتها : ترك كلمة التشبيه ، كقولك « زيد أسد فى الشجاعة » وفيها نوع قوة ^(٣) .

ورابعتها : ترك المشبّه وكلمة التشبيه ، كقولك « أسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة .

وخامستها : ترك وجه الشبه ، كقولك « زيد كالأسد » وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

وسادستها : ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك « كالأسد » أى زيد ، وهى كالخامسة .

وسابعتها : ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك « زيد أسد » وهى أقوى الجميع .

(١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

(٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له فى إفادة المبالغة التى تعلو بها مرتبة التشبيه .

(٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عينُ المشبه به ادّعاءً ؛ لأن الخبر عينُ المبتدأ فى

وثامنتها : أفراد المشبه به بالذكر ، كقولك « أسد » أى زيد ، وهى كالسابعة^(١) .

واعلم أن الشبه^(٢) قد يُنتزعُ من نفس التضاد لاشتراك الضدَّين فيه ، ثم ينزَّل منزلة التناسب^(٣) بواسطة تمليح ؛ أو تهكم^(٤) ؛ فيقال للجبان : « ما أشبهه بالأسد » ، وللبخيل : « هو حاتم » .



(١) هذا وللتشبيه مراتب أيضا باعتبار أدواته ، فنحو « كأن زيدا أسد » أبلغ من نحو « زيد كالأسد » لأن (كأن) تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلم فيفيد شدة المشابهة .

وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه الشبه فيه مفرداً ، أو مركباً حسيّاً أو عقليّاً إلى غير ذلك من أقسامه ، ولو أنه رتب الكلام فى التشبيه على بيان تلك المراتب وجعل تلك الأقسام تابعة لها لكانت الفائدة أتم ؛ لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه إلى ذلك الحدِّ المملِّ ، ويهمل بيان تلك المراتب مع أنه هو الأهم .

(٢) يعنى به وجه التشبيه .

(٣) كان الأحسن تقديم هذا على ما قبله ؛ لأن الذى يحصل أولاً تنزيل التضاد منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطلق التقابل .

(٤) التمليح : هو الإتيان بما فيه ملاحظة وظرافة ، والتهكم : الاستهزاء ، والنسبة بينهما العموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التمليح إيراد القبيح فى صورة شئ مليح للاستظراف . وما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبح الحُسْنُ منك يا أحسنَ الأملِ عة يحكى سماجة ابن حبيش

وقول عمرو بن معديكرب :

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بَأَنْقَمَ عَيْشَةَ أَوْ ذُو نَوَاسٍ
فَلَا تَفْخَرْ بِمَلِكِكَ كُلِّ مَلِكٍ يَصِيرُ لِدَلَّةٍ بَعْدَ الشَّمَّاسِ

تمرينات على التشبيه

تمرين - ١

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :

تَحْطُمُنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّا زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

(٢) بَيِّنَ التشبيه الضمنى فى قول الشاعر :

إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمَخْلَبِ السَّيْعُ

تمرين - ٢

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :

أَيَهْجَرْنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِلُغَاتِ

سَرَّتْ لَوَثَةُ الْإِفْرِجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لِعَابُ الْأَفَاعَى فِي مَسِيلِ فِرَاتِ

(٢) ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره ؟

تمرين - ٣

(١) من أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :

وَتَرَاكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ وَبَادَرُوا أَنْ تَسْتَرِدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِي

(٢) ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا

تمرين - ٤

(١) لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّقَيَاتِ فى مصعب بن

الزبير :

إِنَّمَا مِصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّحْلِ هُتِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

على قوله فيه :

يأتلق التّاج فوق مفرّقه على جبين كأنه الذهب

(٢) لماذا قبح التشبيه في قول أبي نواس في وصف الخمر :

وإذا ما الماء وأقعها أظهرت شكلاً من الغزل

لؤلؤات يتحدّرن بها كانهدار الذرّ من جبل

تمرين - ٥

أى التشبيهين أبلغ في هذين البيتين :

(١) يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومنالاً

(٢) فى طلعة البدر شىء من محاسنها وللقضيب نصيب من تشيها

(٢) ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ وأيها أعلى منزلة فى التشبيه ؟

تمرين - ٦

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبارها فيما يأتى :

(١) والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم

(٢) الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

(٣) والبدر فى أفق السماء كغداة بيضاء لاحت فى ثياب حداد

(٤) أبابل مرأى العين أم هذه مصر فإنى أرى فيها عيوناً هى السحر

(٥) ومكّلف الأيام ضدّ طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

تمرين - ٧

وازن بين التشبيه فى هذين البيتين :

(١) ألا إنما ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأكفّ تلين

(٢) إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

الباب الثاني: القول في الحقيقة والمجاز

وقد يقيدان باللغويين (١)

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في اصطلاح به التخاطب (٢) . فقولنا « المستعملة » احتراز عما لم يُستعمل ؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة ، وقولنا « فيما وُضعت له » احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل في غير ما وُضعت له غلطاً ؛ كما إذا أردت أن تقول لصاحبك « خذ هذا الكتاب » مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت « خذ هذا الفرس » والثاني أحد قسمي المجاز - وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره ؛ كلفظة الأسد في الرجل الشجاع ، وقولنا « في اصطلاح به التخاطب » احتراز عن القسم الآخر من المجاز ؛ وهو ما استعمل فيما وُضع له لا في اصطلاح به التخاطب ؛ كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعُرفِ الشرع في الدعاء مجازاً (٣) .

تعريف الوضع : والوضعُ تعيينُ اللفظ للدلالة على معنى بنفسه (٤) .

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقليان ، وقد سبقا في باب الإسناد الخبري من علم المعاني ، وبهذا يكون المراد باللغوي منهما ما قابل العقلي فيدخل فيه الشرعي والعرفي الآتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر في التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ، كقولك : « الصدق حسن » ؛ باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإستاذ ، وقيل : إن المركب لا يُطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها في عُرف الشرع حقيقة في الأقوال والأفعال المفتحة بالتكبير المختمة بالتسليم ، أما في عُرف اللغة فهي حقيقة في الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج الكناية من تعريف الحقيقة للخلاف في خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة في غير ما وُضعت له فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وُضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها ليست بحقيقة ولا مجاز .

(٤) أي بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضع الحروف لأن معانيها تُفهم منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

فقولنا « بنفسه » احترازٌ من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة - أعنى المجاز - فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك فى الحد لأن عدم دلالة على أحد معنيه بلا قرينة لعارض - أعنى الاشتراك - لا ينافى تعيينه للدلالة عليه بنفسه ^(١) . وذهب السكاكى إلى أن المشترك (كالقرء) معناه الحقيقى هو ما لا يتجاوز معنيه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما ^(٢) قال :

﴿ فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام متنسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحاً مثل أن تقول « القرء بمعنى الطهر » وإما استلزاماً مثل أن تقول « القرء لا بمعنى الحيض » فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عنه بإزائه بنفسه ﴾ ، ثم قال فى موضع آخر ^(٣) :
﴿ وأما ما يُظنّ بالمشارك من الاحتياج إلى القرينة فى دلالة على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن عدمُ تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين ﴾ وفيما ذكره نظرٌ ؛ لأننا لا نُسَلِّم أن معناه الحقيقى ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ ثم قوله « إذا قيل القرء بمعنى الطهر أو : لا بمعنى الحيض فهو دالٌ بنفسه على الطهر بالتعيين » سهو ظاهر ؛ فإن القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكلٌّ من قوله « بمعنى الطهر » وقوله « لا بمعنى الحيض » قرينة ^(٤) .

(١) فقرينة المشترك إنما هى لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهمُ أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها فى نفس الدلالة على المعنى المجازى .
(٢) ١٩١ - المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ؛ فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذى هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب فى معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتى .

(٣) ١٩٢ - المفتاح .

(٤) هذا الاعتراض ساقط ؛ لأن السكاكى لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل لتعيين دلالة على أحد معنيه كما سبق ، وما كان أغنى الخطيب عن الاشتغال بهذه المباحثات اللفظية .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ على معناه لذاته (١) ، وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يمنع نقله إلى المجاز وجعله علماً ووضعه للمضادين كالجون للأسود والأبيض ، فإن ما بالذات لا يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . وتأول السكاكي رحمه الله (٢) على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمى الاشتقاق والتصريف ؛ من أن للحروف فى أنفسها خواص بها تختلف ؛ كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينها وغير ذلك مستدعية أن العالم بها إذا أخذ فى تعيين شئ منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحق الحكمة (٣) كالقصم (بالفاء) الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير أن يبين (٤) . والقصم (بالقاف) الذى هو حرف شديد لكسر الشئ حتى يبين ، وأن للتركيبات (٥) كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً (٦) فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف ، وفى ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم فى اختصاصها بالمعانى .

تعريف المجاز وأقسامه : والمجاز مفرد ومركب .

أما المفرد فهو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته . فقولنا « المستعملة » احتراز عما لم يستعمل ؛ لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازاً كما لا تسمى

(١) أى لا بالوضع ، وهو قول عباد الصيمرى من المعتزلة .

(٢) ١٩٠ - المفتاح .

(٣) لأن الواضع حكيم ، وحينئذ لا يكون فى هذا القول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر فى بعض الألفاظ دون جميعها لتعذره ، والحق أن هذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد من أنه يقصد ظاهر ما روى عنه ، وكان بعض أتباعه يدعى أنه يعرف جميع المسميات من أسمائها ، ف قيل له : ما مسمى « أدغاغ » وهو من لغة البربر ؟ فقال : أجد فيها ييساً شديداً وأراه اسم الحجر . فظهر أنه اسمه فى تلك اللغة .

(٤) ينفصل .

(٥) معطوف على قوله « من أن للحروف » .

(٦) فالفعلان والفعلى يدلان على ما فيه حركة ، وفعل تدل على أفعال الطباع

والسجيا .

حقيقة ، وقولنا « فى اصطلاح به التخاطب » ؛ ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً ؛ فإنه وإن كان مستعمالاً فيما وُضِعَ له فى الجملة ^(١) ؛ فليس بمستعمل فيما وُضِعَ له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب . وقولنا « على وجه يصح » احترازٌ عن الغلط كما سبق ^(٢) .
وقولنا « مع قرينة عدم إرادته » احتراز عن الكناية ؛ كما تقدم ^(٣) .

والحقيقة لُغَوِيَّةٌ وشرعية وعرفية خاصة أو عامة ؛ لأن واضعها إن كان واضح اللغة فلغوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وإلا فعرفية والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه ؛ كقولنا كلامية ونحوية ، وإلا بقيت مطلقة ؛ مثال اللغوية لفظ (أسد) إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ (صلاة) إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة ، ومثال العرفية الخاصة لفظ (فعل) إذا استعمله المخاطب بعرف النحر فى الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ (دابة) إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى ذى الأربع ^(٤) .

(١) لأنها موضوعة فى اللغة للدعاء ، فاستعمالها فيه استعمالٌ فيما وُضِعَ له فى الجملة .

(٢) أى فى تعريف الحقيقة ؛ فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجاز ؛ وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأن الوجه الذى يصح به استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له ؛ هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى مع ملاحظتها ، والغلط لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٣) أى فى حصر أبواب علم البيان ؛ لأن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وأما نحو قولهم « القلم أحد اللسانين » مما قيل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز ؛ فمذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز ، والمعنى عليه : القلم أحد السبطين ، ولا شك فى أن هذا إطلاق مجازى .

(٤) هى فى اللغة اسم لكل ما يدب على الأرض من ذى الأربع وغيره ، والمراد ذو الأربع المعهود وهو الحمار والبغل والفرس ، فلا يدخل فى استعماله العرفى الشاة ونحوها من ذى الأربع .

وكذلك المجاز المفرد لغوى وشرعى وعُرفى ؛ مثال اللغوى لفظ (أسد)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ، ومثال الشرعى لفظ (صلاة)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرف الخاص لفظ (فعل)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث ، ومثال العرفى العام لفظ (دابة) إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة ^(١) .

اشتقاق الحقيقة والمجاز : والحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك «حققتُ الشيءَ أحقُّه» إذا أثبتته ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك «حقَّ الشيءُ يحقُّ إذا ثبت» أى المُثَبَّتُ أو الثابتة فى موضعها الأُصْلَى؛ فأما التاء فقال صاحب المفتاح ^(٢) : هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجرأة على الموصوف وهو الكلمة ^(٣) ، وفيه نظر ^(٤) ، وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصِّرفَة؛ كما قيل فى أكيلة ونطيحة : إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الاسمية ^(٥) ؛ فلذلك لا يوصف بهما؛ فلا يقال : شاة أكيلة أو نطيحة .

والمجاز: قيل «مَفْعَلٌ» من «جاز المكان يجوزهُ» إذا تعداه ، أى تعدت موضعها الأُصْلَى ^(٦) وفيه نظر ^(٧) . والظاهر أنه من قولهم «جعلت كذا

(١) لأنه فى العرف العام موضوع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق .

(٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) إنما قيدها بهذا لئلا يمتنع إلحاق التاء بها إذا كانت من فعيل بمعنى مفعول؛ كما قال ابن مالك :

ومن فعيل كقتيل إن تبع موصوفه غالباً التاء تمتنع

(٤) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجز .

(٥) لأنهما قبل التاء وصف لكل مأكول ومنطرح من الإبل والبقر والغنم ، ثم كثر استعمالها فى الغنم ، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية للاسمية .

(٦) الضمير فى «تعدت» للمجاز باعتبار أنه كلمة ، فهى على هذا مجاز بمعنى جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى مجوز بها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .

(٧) لأن استعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار إليه مع إمكان غيره .

الى حاجتى « أى طريقاً له ^(١) ، على أن معنى جاز المكان سلكه ، على ما
فسره الجوهري وغيره ؛ فإن المجاز طريق إلى تصور معناه ، واعتبار التناسب
فى التسمية يغير اعتبار المعنى فى الوصف ^(٢) كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ،
ووصفه بأحمر ؛ فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه له ، والثانى
لصحة إطلاقه ؛ فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمى كما يلهج
به بعض الضعفاء .

تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة : والمجاز ضربان : مُرْسَلٌ ،
واستعارة ؛ لأن العلاقة المصححة إن كان تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو
استعارة ، وإلا فهو مرسل ، وكثيراً ما تُطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه
به فى المشبه ^(٣) ، فيسمى المشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له ، واللفظ
مستعاراً ^(٤) ، وعلى الأول لا يُشتق منه لكونه اسماً للفظ لا لِلْحَدَث ^(٥) .

المجاز المرسل وعلاقاته - علاقة السببية والمجاورة :

الضرب الأول : المرسل ، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما
وُضع له مُلابسةً غير التشبيه ^(٦) كاليد إذا استعملت فى النعمة ؛ لأن من شأنها

(١) على هذا يكون فى الأصل اسم مكان لا مصدرًا ميميًا ، ولا يحتاج فى إطلاقه
على الكلمة إلى تأويل كالسابق .

(٢) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره فى لفظ المجاز بأنه يؤدى إلى
صحة تسمية الحقيقة مجازاً ؛ لأنها طريق إلى تصور معناها أيضاً ، وقد دفعه بأن ذلك
ليبان علة تسمية المجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجب التسمية بخلاف علة
الوصف .

(٣) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من المجاز ، والحق أن هذا
الإطلاق غير خاص بها ؛ لأن المجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٥) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وبهذا يكون المعنى
الثانى هو الأنسب ؛ لأنه يؤدى إلى معرفة هذه المشتقات التى تدور كثيراً فى الكلام على
الاستعارة .

(٦) الذى يُعتبر من العلاقة فى المجاز مطلقاً نوعها لا شخصها كما ذهب إليه =

أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها ^(١) . ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها ^(٢) فلا يقال « اتسعت اليد في البلد ، أو اقتنيت يداً » كما يقال « اتسعت النعمة في البلد ، أو اقتنيت نعمة » وإنما يقال : « جلّت يدهُ عندي ، وكثرت أياديهِ لدى » ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم في صفة راعى الإبل : « إنَّ له عليها إصبعاً ^(٣) »

= بعض المشددين في استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً في سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذي استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن نقصر على اللفظ الذي استعملوه خاصةً ، وقيل : إن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال في مجاز الحذف مثلاً « سَلَّ الدار » كما قيل « وأسأل القرية » يوسف : ٨٢ ، ولا يستعار لفظ الأسد للرجل الأبحر ، كما استعير للرجل الشجاع ، وهكذا . أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن تقول « تكاثرت أشواقى ، وأسقمنى فقدك » كما ورد من قولهم : « أخذت الأرض وأنبتت الأرض » . والحق أنه لا فرق في ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس في المجاز مطلقاً ، وأن ما يُقبلُ من المجاز يُقبلُ من العرب وغيرهم ، وأن ما لا يقبلُ منه لا يقبلُ من الفريقين أيضاً ؛ لأن العرب تصيب في ذلك وتخطئ كالمحدثين ، وقد أخذ على امرئ القيس قوله :

وهو تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ وَأَقْلَتَ مِنْهَا ابْنَ عَمْرِ وَحُجْرَ

لأن لفظه « هرّ » واستعارة الصيد منها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين قوله من قول زهير :

لَيْتُ بَعَثَرُ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تُقبّحه كذكر الصيد في البيتين .

(١) هذا مثال لعلاقة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على المُسَبَّب ، وكذلك ما يأتي من استعمال اليد في القدرة والإصبع والسوط في أثرهما .

(٢) ليكون قرينة على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط في كل مجاز ، فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد في ذلك من غير إشارة إلى المولى للنعمة ، كقولك « رأيت يداً عمت الوجود » ونحو ذلك .

(٣) من هذا قول الشاعر :

ضعيفُ العصا بادى العُرُوقُ ترى له عليها إذا ما أجْدَبَ الناسُ إصبعا

أرادوا أن يقولوا « له عليها أثرٌ حَذَقٍ » فدلوا عليه بإصبع ؛ لأنه ما من حَذَقٍ في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع واللفظ في رفعها ووضعها كما في الخط والنقش . وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ ^(١) أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حَذَقٍ في الصنعة لا مطلقاً ، حتى يقال ^(٢) « رأيت أصابع الدار ، وله إصبع حسنة وإصبع قبيحة » على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وينظر إلى هذا قولهم « ضربته سوطاً » لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً . وتفسيرهم له بقولهم « المعنى ضربته ضربة بالسوط » بيان لما كان الكلام عليه في أصله .

ونظير قولنا « له على يد » قول النبي ﷺ لأزواجه : « أَسْرَعَكُنَّ لِحَوْقاً - وَيُرَوَّى لِحَاقاً - بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا » وقوله « أطولكن » نظير ترشيح الاستعارة ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز ، والمعنى ^(٣) بسط اليد بالعطاء ، وقيل قوله « أطولكن » من الطَوْل بمعنى الفضل ، يقال « لفلان على فلان طولٌ » أى فضل ؛ فاليد على هذين الوجهين ^(٤) بمعنى النعمة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء أى أمدكن ، فحذف قوله بالعطاء للعلم به ^(٥) .

وكاليد أيضاً إذا استعملت في القدرة ؛ لأن أكثر ما يظهر سلطانها في اليد ، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من الأفعال التي تنبئ عن وجود القدرة ومكانها ، وأما اليد في قول النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُ

(١) القيامة : ٤ .

(٢) هذا تفریع على المنفی فهو مما لا یصح أن یقال فی ذلك .

(٣) یعنی المعنى المجازى .

(٤) أى على أن يكون « أطولكن » بمعنى بسط اليد بالعطاء ، أو من الطول بمعنى

الفضل .

(٥) على هذا الوجه تكون اليدُ فى الحديث حقيقة لا مجازاً .

على من سواهم « فهو استعارة ^(١) ، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة فى التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين ؛ لأن كلمة التوحيد جامعة لهم .

وكالرواية للمزادة مع كونها للبعير الحامل لها؛ لحمله إياها ^(٢) ، وكالحفّض فى البعير مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه ، وكالسماء فى الغيث ، كقوله : « أصابتنا السماء » لكونه من جهة المظلة ، وكالإكاف فى قول الشاعر :

* يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَاْفَا ^(٣) *

أى علفاً بضمن الإكاف ^(٤) .

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا ^(٥) : منها تسمية الشئ باسم جزئه ^(٦) كالعين فى الربيّة ^(٧) لكون الجارحة

(١) يريد بها التشبيه توسعاً لذكر الطرفين فى قوله « وهم يد » وقيل : إن المعنى (وهم عون على من سواهم) فيكون مجازاً .

(٢) مأخوذة من روى الماء حمله ، وتأوها للمبالغة ، وهذا مثال لعلاقة المجاورة . والمزادة : سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليكثر ما تحمله من الماء . وكذلك العلاقة فى إطلاق الحفّض على البعير ، وفى إطلاق السماء على الغيث ، وقد يجعل هذا من علاقة السببية ، والحفّض : اسم لمتاع البيت الخفيف ، ولا يكاد يطلق إلا على البعير المهزول .

(٣) هو من قول أبى حزابة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :

يا طَلْحُ يَا أَبَى مَجْدُكَ الْإِخْلَاقَ وَالْبَخْلُ لَا . يَعْتَرِفُ اعْتِرَافَا

إِنَّ لَنَا أَحْمَرَ عَجَافَا يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَاْفَا

والأحمر : جمع حمار ، والعجاف : الهزيلة جمع عَجَفَاء على غير قياس ، والإكاف : البرذعة أطلق على العلف للمجاورة لأنه يُحْمَل عليه ، أو للسببية لأن ثمنه سبب فى الحصول عليه .

(٤) فهو على حذف مضاف ، ويجوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز .

(٥) أى من علاقة السببية والمجاورة ، وظاهر هذا أنه لا يذكر فيما يأتى علاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية . (٦) هذه تسمى علاقة الجزئية .

(٧) تطلق الربيّة على الرقيب والجاسوس ، من ربأ القوم : استطلع حركاتهم ، وتأوها للمبالغة .

المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ريئة ؛ إذ ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدتها فصارت كأنها الشخص كله^(١) . وعليه قوله تعالى : ﴿ قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢) أى صلّ ، ونحوه ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾^(٣) أى لا تُصَلِّ ، وقول النبي عليه السلام : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » أى من صلّى^(٤) .

علاقة الكلية : ومنها عكس ذلك^(٥) نحو ﴿ يجعلون أصابعهم فسى آذانهم ﴾^(٦) أى أناملهم ، وعليه قولهم « قطعتُ السارق » وإنما قطعتُ يده^(٧) .

علاقة السببية أيضاً : ومنها تسمية المسبّب باسم السبب ، كقولهم : « رَعَيْنَا الْغَيْثَ » أى النبات الذى سببه الغيث ، وعليه قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾^(٨) سُمى جزاء الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَبَلَوْا أَخْبَارَكُمْ ﴾^(٩) تُجَوِّزُ

(١) لأنه يجب في كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يُقصد ب كله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوها على الريئة .

(٢) المزمل : ٢ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

وَكُنْتَ إِذَا كَفُّ أَتُكَ عَدِيمَةً تُرَجِّى نَوَالاً مِنْ سَحَابِكَ بُلَّتْ

وقول الآخر :

وإن حَلَفْتُ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

(٥) هو تسمية الجزء باسم كله ؛ وهذه تسمى علاقة الكلية ، أما استعمال الكلى في

جزئية فهو حقيقة ، كقولك « جاءنى إنسان » تريد زيدا .

(٦) البقرة : ١٩ .

(٧) من هذا أيضاً قول الشاعر :

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظِّبَاةِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظِّبَاةِ تَسِيلُ

(٨) البقرة : ١٩٤ .

(٩) سورة محمد ﷺ : ٣١ .

بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه ، كأنه قيل « ونعرف أخباركم » ، وعليه قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا (١)

الجهل الأول حقيقة ، والثاني مجاز ، عبّر به عن مكافأة الجهل (٢) . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٣) تجوّز بلفظ السيئة (٤) عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها ، وقيل : إِنَّ عَبْرَ بِهَا عَمَّا سَاءَ أَى أَحْزَنَ لَمْ يَكُنْ مَجَازاً ؛ لَأَنَّ الْاِقْتِصَاصَ مُحْزَنٌ فِي الْحَقِيقَةِ كَالْجَنَائَةِ ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ ﴾ (٥) تُجَوِّزُ بِلَفْظِ الْمَكْرِ عَنْ عَقُوبَتِهِ لِأَنَّهُ سَبَبُهَا ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ؛ لَأَنَّ الْمَكْرَ هُوَ التَّنْذِيرُ فِيمَا يَضُرُّ الْخَصْمَ ، وهذا محقق من الله تعالى باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

علاقة المسيبية : ومنها تسمية السبب باسم المسبب كقولهم « أمطرت السماء نباتاً » وعليه قولهم « كما تَدِينُ تُدَانُ » أى كما تفعل تُجَازَى (٦) ، وكذا لفظ « الأسنمة » فى قوله يصف غيثاً :

أَقْبَلَ فِي الْمُسْتَنْ مِنْ رِيَابِهِ أَسْنَمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ (٧)

وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ

(١) قال الزوزنى فى شرحه : أى لا يسفهن أحدٌ علينا فنفسه عليهم فوق سفههم ، أى نجازيهم بسفههم جزاءً يربو عليه .

(٢) ومكافأة الجهل ليست جهلاً وإن كانت فوقه .

(٣) الشورى : ٤٠ .

(٤) يعنى لفظها الثانى لا الأول .

(٥) آل عمران : ٥٤ .

(٦) فالمجاز فى قولهم « تدين » .

(٧) المستن : موضع جريان الغيث من قولهم « اسْتَنْ الْفَرَسُ » إذا جرى على سننه

فى جهة واحدة ، وقوله « من رياه » متعلق بأقبل ، والرياب : السحاب الأبيض ، والآبال : الجمال جمع إبل ، وأسمنتها : جمع سنام وهو الحدة المعروفة فى ظهرها ، =

الأنعام ثمانية أزواج ﴿١﴾ بإنزال الماء على وجهه ﴿٢﴾ لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ؛ وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ، قيل : وهذا ﴿٣﴾ معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿٤﴾ وقيل : معناه وقضى لكم ؛ لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالتزول من السماء حيث كُتب فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل : خلقها فى الجنة ثم أنزلها ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَينزِلُ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ ﴿٥﴾ أى مطراً هو سبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ﴿٦﴾ وقولهم «فلان أكل الدم» أى الدية التى هى مسيبة عن الدم ﴿٧﴾ ، قال :

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بِضْرَةً بعيدة مهوى القرط طيبة النثر ﴿٨﴾

= والشاهد فى إطلاقها على المطر لأنه سبب فى نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلى ، فيكون المراد من الأسمة حقيقتها .

(١) الزمر : ٦ .

(٢) هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيذكر مقابل هذا الوجه

فى قوله : « وقيل : معناه وقضى لكم إلخ » .

(٣) أى التفسير بما سبق .

(٤) الزمر : ٢١ .

(٥) غافر : ١٣ .

(٦) النساء : ١٠ .

(٧) لا يخفى أنه حينئذ يكون من تسمية المسبب باسم السبب ، فيكون ذكره هنا

فى غيره محله .

(٨) هو لأعرابى تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إن حمى دمشق سريعة فى

موت النساء ، فحملها إليها وقال قبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلمي أن ليلة تمر بعودى نعشها ليلة القدر

وقوله « أكلت دماً » أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيلاً ويعجز عن

نأره فيرضى بديته ، وقيل : إنهم كانوا فى سنن الجذب يفصدون نوقهم ويشربون دمه =

وقوله تعالى : ﴿ فَلِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ^(١) أى أردت القراءة بقرينة الفاء ^(٢) مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ﴾ ^(٣) أى أراد؛ بقرينة ﴿ فَقَالَ رَبُّ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ^(٤) أى أردنا إهلاكها؛ بقرينة ﴿ فَجَاءَهَا بِأُسْنًا ﴾ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَا آمَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ^(٥) بقرينة ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك ؛ إذ لا يقع الإنكار ^(٦) فى ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ فى المحز إلا بتقدير « ونحن على أن نهلكهم » ^(٧) .

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه ^(٨) كقوله عز وجل : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ ^(٩) أى الذين كانوا يتامى ؛ إذ لا يتم بعد البلوغ ، وقوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرَمًا ﴾ ^(١٠) سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام .

علاقه اعتبار ما يكون : ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه ^(١١) كقوله تعالى : ﴿ إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خُمْرًا ﴾ ^(١٢) .

= فدعا على نفسه بذلك . وقوله « أَرَعَك » بمعنى أفرعك ، وقوله - بعيدة مهوى القرط - كناية عن طول العنق ، والنشر : الرائحة .

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) فى قوله (فاستعذ) لأنها للترتيب . (٣) هود : ٤٥ .

(٤) الأعراف : ٤ . (٥) الأنبياء : ٦ .

(٦) لأن الاستفهام فيه إنكارى .

(٧) أى ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعد هلاكهم ، وقيل : إن المعنى أهلكتناها بالفعل لعدم إيمانها بما اقترحت من الآيات ؛ فلا نعطي هؤلاء ما اقترحوا لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٨) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٩) النساء : ٢ . (١٠) طه : ٧٤ .

(١١) هذه تسمى علاقة اعتبار ما يكون ؛ فالمراد فى الآية إني أرايى أعصر عنباؤ

يؤول إلى أن يكون خمرأ ، فسماه خمرأ باعتبار ما يؤول إليه .

(١٢) حكاية عن صاحب سيدنا يوسف : ٣٦ .

علاقة المحلية : ومنها تسمية الحال باسم محله ^(١) كقوله تعالى : ﴿فليدع ناديه﴾ ^(٢) أى أهل ناديه .

علاقة الحالية : ومنها عكس ذلك ^(٣) نحو ﴿وأما الذين أبيضت وجوههم ففى رحمة الله﴾ ^(٤) أى فى الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشيء باسم آله ^(٥) كقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ^(٦) أى بلغة قومه ، وقوله تعالى : ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ ^(٧) أى ذكراً جميلاً وثناً حسناً .

وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه ^(٨) . قال صاحب المفتاح ^(٩) : وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء

(١) هذه تسمى علاقة المحلية .

(٢) العلق : ١٧ .

(٣) أى تسمية المحل باسم الحال ، وهذه تسمى علاقة الحالية ، ومن علاقة المحلية قول الشاعر :

إن العدو وإن تقادم عهدهُ فالحقدُ باقٍ فى الصدور مغيبُ

ومن علاقة الحالية قول الآخر :

ألمّا على معنٍ وقولا لقبره سقتك الغواذى مربعا بعد مربع

(٤) آل عمران : ١٠٧ .

(٥) هذه تسمى علاقة الآلية ؛ والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى ما به يفعل الشيء ، أما السبب فما به وجود الشيء ؛ فاللسان فى الآية يقال إنه آلة اللغة ، ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الشعراء : ٨٤ .

(٨) من ذلك علاقة اللزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص ، وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما فى تسمية الصحراء المهلكة مفازة ، وتسمية الجريح واللديغ سليما ، ومن ذلك قول الشاعر :

يشكو إذا شدّ له حزامه شكوى سليم ذربت كلامه

(٩) ١٩٦ - المفتاح .

والداعى إلى تركه ^(١) يحتمل عندى أن يكون المراد بـ « منعك » فى قوله تعالى : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ ^(٢) : دعاك ، و « لا » غير صلة قرينة المجاز ^(٣) . وكذا ﴿ ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعن ﴾ ^(٤) ؛ وقال الراغب رحمه الله : « قال بعض المفسرين : إن معنى « ما منعك » ما حماك وجعلك فى منعة منى فى ترك السجود أى فى معاقبة تركه ، وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيب بأن يقول ﴿ أنا خيرٌ منه ﴾ فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه ، وإنما هو جواب من قيل له : ما منعك أن تسجد ؟ ويمكن أن يقال فى جواب ذلك : إن إبليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلاً إلى الجواب عنه - إذ لم يكن له من كالىء يحرسه ويحميه - عدل عما كان جواباً ، كما يفعل المأخوذ بكظمه فى المناظرة » انتهى كلامه ^(٥) .

المرسل الخالى عن الفائدة والمفيد : وقسم الشيخ صاحب المفتاح ^(٦) المجاز المرسل إلى خال عن الفائدة ومفيد ، وجعل الخالى عن الفائدة ما استعمل فى أعمّ مما هو موضوع له ؛ كالمرسّن فى قول العجاج :

* وفاحماً ومرسناً مسرجاً * ^(٧)

(١) التعلق بينهما هو تعلق الضدية ؛ لأن الصارف هو المانع ، والداعى هو السبب ، وكل من المانع والسبب يضاد الآخر ، وعلى هذا يكون إطلاق « منعك » على « دعاك » علاقته الضدية .

(٢) الأعراف : ١٢ .

(٣) يعنى أن « لا » على هذا تكون غير زائدة ، وتكون قرينة على أن المراد : بـ « منعك » دعاك .

(٤) طه : ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) الأظهر عندى أن يكون تقدير الآية : ما منعك فى ألا تسجد ، أى فى تركك السجود ؛ فتكون الآية على تقدير (فى) لا على تقدير (من) ، وعلى هذا يبقى منعك على ظاهره ، وتكون « لا » أصلية لا زائدة ، والمعنى : ما سبب امتناعك فى تركك السجود؟ .

(٦) ١٩٤ - المفتاح .

(٧) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الغرابة فى الكلمة من المقدمة فى الجزء

الأول .

فإنه مستعمل في الأنف لا بقيد كونه المرسون ^(١) مع كونه موضوعاً له بهذا القيد لا مطلقاً ، وكالمشفر ^(٢) في نحو قولنا « فلان غليظ المشافر » إذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير ، وقال : سمي هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو « ليث وأسد وحبس ومنع » عند المصير إلى المراد منه ^(٣) .

وأراد بالمفيد ما عدا الخالي عن الفائدة والاستعارة كما مر .
والشيخ عبد القاهر رحمه الله ^(٤) جعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه ؛ مصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان ^(٥) فإن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة ^(٦) كقولهم في مواضع الذم « غليظ المشفر » فإنه بمنزلة أن يقال « كأن شفته في الغلظ مشفر البعير » . وعليه قول الفرزدق :
فلو كنت ضبيّاً عرفت قرابتي ولكن رنجي غليظ المشافر ^(٧)

(١) المرسون : اسم مفعول من « رسن الدابة » بمعنى جعل رأسها في الرسن وهو الحبل المعروف .

(٢) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .

(٣) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة في خلوها عن مزية البلاغة ، وإن كان فيه فائدة المترادف من التوسع في اللغة .

(٤) ٣٦ : أسرار البلاغة .

(٥) أما السكاكي فيجعلهما موضوعين لهذين العضوين من الإنسان وغيره ، وبهذا يكون استعمال المرسن والمشفر فيهما من استعمال المقيد في المطلق عند السكاكي ، ومن استعمال المقيد في مقيد آخر من جنسه عند عبد القاهر ، والخطب في ذلك سهل ، ويمكن جعل الخالي عن الفائدة بحيث يشمل كلا من الاستعمالين .

(٦) وإذا صار استعارة كان مقيداً ؛ لأن المجاز غير المقيد خاص بالمرسل .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبي ، وكان قد حبسه فقال ذلك يهجو ويظعن في نسبه من جهة أمه بنت يسار مولى عبد الله بن كرز . وقد روى « ولكن رنجيا » على حذف الخبر أي لا يعرف قرابتي ، أو ولكن بك رنجيا أي يشبهك ، وقد حذف على الأول اسم (لكن) وهو قليل ، وصواب الرواية « غليظاً مشافره » .

أى ولكنتك زنجى كأنه جملٌ لا يهتدى لشرفى .

وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبرقان :

قروا جارك العيمانَ لما جفوتهُ . وقلّص عن بردِ الشرابِ مشافرهً (١)

فإنه وإن عنى نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بالزبرقان ، ويؤكد ما قصده من رميه بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وكذا قول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملكٍ أظلافهُ لم تشقّ (٢)

الاستعارة التصريحية : الضرب الثانى من المجاز الاستعارة ، وهى ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وُضع له (٣) ؛ وقد تُقيد بالتحقيقية (٤) لتحقيق معناها (٥) حساً أو عقلاً ؛ أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار

(١) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وقوله « قروا » بمعنى أضافوا ؛ لأن القرى طعام الضيف ، والعيمان : العطشان إلى اللبن ، وقوله « قلّص » بمعنى انقبض وانكمش من تأثير البرد ، يعنى أنه لم يجد عنده إلا الماء .

(٢) هو لعقّفان بن قيس بن عاصم ، وقيل للأخطل . والأظلاف : جمع ظلف وهو لما اجترّ من الحيوان كالظفر للإنسان ، وهذا فى حد التشبيه والاستعارة أيضاً ؛ لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهة ، كأنه قال : أجعل أمرها إلى ملك لا إلى عبد جاف مشقق الأظلاف .

(٣) المراد بمعناه المعنى المجازى ، وهى مدلول المشبه . وإنما اكتفى بهذا القدر فى تعريف الاستعارة التصريحية مع أنه يشمل الاستعارة المكنية والتخييلية عند غيره ؛ لأن « ما » فى التعريف واقعة على لفظ ، وكل من المكنية والتخييلية عنده ليس بلفظ كما سيأتى ، فهما خارجان عن جنس التعريف عنده ، والتصريحية يحذف فيها لفظ المشبه ويستعار له لفظ المشبه به .

(٤) لتمييز بهذا عن المكنية والتخييلية ؛ لأن كلاّ منهما عنده ليس بلفظ فلا يكون محقق المعنى ، وعلى مذهب غيره تكون المكنية من التحقيقية ، وسيأتى تفصيل خلافهم فى ذلك .

(٥) يعنى به المعنى المجازى كما سبق ، والمراد بالحسى هنا الحقيقى فلا يدخل فيه

الخيالى

إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال : إن اللفظ نُقل من مسماء الأصل فُجِّلَ اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه .

أما الحسى : فقولك « رأيت أسداً » وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدَّفٌ ^(١)

أى لدى رجلٍ شجاع .

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه فى الحركات؛ كقول أبى دلالة يصف بغلته :

أَرَى الشَّهْبَاءَ تَعَجِّنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرَجُلَيْهَا وَتَحْبِزُ بِالْيَدَيْنِ ^(٢)

شَبَّ حركةَ رجلِها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهَوَّتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان فى موضع ، بل تزلآن إلى قدام لرخاوة العجين ، وشَبَّ حركةَ يديها بحركة يد الخابز؛ فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدثُ فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد فى يد الدابة إذا

= بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستعارة التخيلية ، والمراد بالعقلى ما يشمل الوجدانى كما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ آية ١١٢ سورة النحل .

(١) هو من قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

فَشَدَّ قَلَمٌ يُفَزَعُ بِيَوْتاً كَثِيراً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدَّفٌ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقْلَمْ

والضمير فى قوله « فشد » لخصين بن ضمضم ، وأم قشعم: كنية المنية ، وشاكى السلاح : تامه وقويه من الشوكة وهى القوة ، وفيه قلب مكانى ، والمقذف : الذى يرمى به كثيراً فى الوقائع أو الذى قُذِفَ باللحم، واللبد : الشعر المجتمع بين كتفى الأسد .
(٢) هو لزيد بن الجون المعروف بأبى دلالة ، وقوله « غدونا » بمعنى دخلنا الغداة وهى أول النهار ، وهو يصف بغلته بالرداءة ، ورواية كتاب أسرار البلاغة « باليمين » بدل اليدين .

اضطربت فى سيرها ولم تَقَوَّ على ضبط يدها وأن ترمى بها إلى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عليه ، فلا تزلّ عنه ولا تتثنى .

وأما العقلى : فكقولك « أبديتُ نوراً » وأنت تريد حُجَّةً ؛ فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ؛ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذى ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله عز وجل : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(١) أى الدين الحق ، وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ ^(٢) فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة ^(٣) استعارة عقلية ؛ لأنه قال : شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسيّة ؛ لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون وورثاة الهيئة ^(٤) .

فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وُضِعَ له ^(٥) ، والمراد بمعناه ما عُنِيَ به أى ما استعمل فيه ^(٦) ، فلم يتناول ما استعمل فيما وُضِعَ له وإن تضمن التشبيه به . نحو « زيد أسد » ورأيت أسداً « ونحو « رأيت به أسداً » ^(٧) لاستحالة

(١) الفاتحة : ٦ .

(٢) النحل : من الآية ١١٢ .

(٣) هو الزمخشري ، وإنما جعل ذلك ظاهره لا صريحه لأنه جعل المشبه ما غشى الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مراده منه ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ، ويجوز أن يكون مراده ما يحصل من امتقاع اللون وورثاة الهيئة كما ذهب إليه السكاكي ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بمطعوم مكروه وأسند إليه الإذاقة ، ويجوز أن يكون « لباس الجوع والخوف » من إضافة المشبه به إلى المشبه .

(٤) ٢٠١ - المفتاح .

(٥) إنما أعاد تعريف الاستعارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة .

(٦) هو المعنى المجازى كالرجل الشجاع فى قولك « رأيت أسداً يحارب » .

(٧) هذا المثال يفترق عن سابقه بأنه من التجريد الذى ينبىء عن التشبيه .

تشبيه الشيء بنفسه^(١). على أن المراد بقولنا « ما تضمن » مجاز تضمن ؛ بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها ، والمجاز لا يكون مستعملاً فيما وُضِعَ له .
الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد : وههنا شيء لا بدّ من التنبيه عليه ، وهو أنه إذا أُجْرِىَ فى الكلام لفظٌ دلت القرينة^(٢) على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما - ألا يكون المشبه مذكوراً ولا مقدّراً ؛ كقولك « غنّت لنا ظبية » ، وأنت تريد امرأة ، و « لقيت أسداً » ، وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة .

والثانى - أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً^(٣) ؛ فاسم المشبه به إن كان خبراً ، أو فى حكم الخبر كخبر « كان وإن » ، والمفعول الثانى لباب « علمت » ، والحال ؛ فالأصح أنه يسمى تشبيهاً وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة ؛ لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفى عنه ؛ فإذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك فى الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يُسمّى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ؛ فإن الاسم فيها لم يُجْتَلَب لإثبات معناه للشيء ؛ كما إذا قلت « جاءنى أسد » ، ورأيت أسداً « فإن الكلام فى ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً فى الضمير ، لا يُعْلَمُ إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر .

(١) فيكون المعنى المستعمل فيه اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازى ، فلو تناوله تعريف الاستعارة لزم تشبيه الشيء بنفسه لاتحاد المعنى الاستعمالى والمعنى الوضعى فيه .

(٢) المراد بالقرينة هنا السياق ، لا قرينة المجاز ؛ لأنه سيدخل فيه التشبيه المؤكد .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عَمَى ﴾ سورة البقرة آية ١٨ . أى هم صم إلخ .

ووجه آخر في كون التشبيه مكنوناً في الضمير ؛ وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً جاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ؛ فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس ^(١) من ذهب إلى أن الاسم في الحالة الثانية استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه ^(٢) وهذا الخلاف لفظي راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح ^(٣) وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر والشيخ جار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح ^(٤) رحمهم الله ؛ غير أن الشيخ عبد القاهر قال بعد تقرير ما ذكرناه ^(٥) : « فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ؛ كقولك « زيد الأسد ، وهو شمس النهار » فإنه يحسن أن يقال « زيد كالأسد ، وخلته شمس النهار » وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ؛ وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك « زيد أسد » ؛ فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ^(٦) ويحسن أن يقال « كأن زيدا أسد ، ووجدته

(١) كآبي هلال العسكري والآمدی والخفاجي .

(٢) أي أدواته .

(٣) فإذا عرفت الاستعارة بما تضمن تشبيه معناه بما وُضع له لم يدخل فيها الاسم في الحالة الثانية ، وإذا عرفت بأنها ما بُنى التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد ، دخل فيها الاسم في الحالة الثانية ؛ لأن هذا المعنى يشمل ، كذلك يقال نظير هذا في تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل في مثل هذا الخلاف اللفظي .

(٤) ١٨٩ - المفتاح .

(٥) ٣٧٣ - أسرار البلاغة .

(٦) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود في تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه ، ولهذا يحسن في حال التعريف دخول =

أسداً»^(١) . وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب ؛ لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ؛ وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ؛ كقولك « فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب » ؛ وكقوله :

شمسٌ تَأَلَّقُ والفراقُ غروبُها عنا وبدرٌ والصدودُ كسوفُهُ^(٢)

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته^(٣) كقولك « هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا يغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبُها ، وكالبدر إلا أن الصدود كسوفُهُ » وقد يكون في الصفات والصلوات التي تجيء في هذا النحو ما يحيلُ تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أسدٌ دمُ الأسدِ الهزبرُ خضابهُ موتٌ فريصُ الموتِ منه يرعدُ^(٤)

= الأداة ؛ ليكون المقصود التشبيه لا دعوى الاتحاد لبعدها حيثئذ ، ويحسن في حال التنكير عدم دخولها ؛ ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .
(١) لأن « كآن ونحوها » ليست نصاً في التشبيه كالكاف ، وهذه كلها فروق متكلفة ؛ ولهذا كان الحق أن كل هذا من التشبيه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفة أو نكرة .

(٢) هو للبحترى في مدح الفتح بن خاقان ، وقوله « تألق » أصله تتألق بمعنى تلمع ، والصدود : الإعراض ، والكسوف : قد يُطلق على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

(٣) اعترض عليه بأنه يجوز في ذلك أن يقال هو « كيدر يسكن الأرض » من غير تغيير ، ويكون المشبه به خيالياً كما سبق في تشبيه فحم فيه جمر موقدٌ يبحر من المسك موجه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبد القاهر لم يدع إلا أنه لا يحسن دخول الأداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

(٤) أسد خبر لمبتدأ محذوف أي : هو أسد ، يعنى بمدوحه شجاع بن محمد الطائي ، والهزبر : الشديد الصلب ، والخضاب : الحناء ، والفريص : واحده فريصة ؛ وهي لحمة بين الثدى والكتف أو بين الجنب والكتف .

فإنه لا سبيل إلى أن يقال « المعنى هو كالأسد وكالموت » لما فى ذلك من التناقض ؛ لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه ^(١) . وكذا قول البحتري :
وبدرُ أضواء الأرض شرقاً ومغرباً وموضعُ رجلى منه أسودٌ مظلم ^(٢)
إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج - حتى يكون المعنى هو كالبدر - لزم أن يكون قد جعل البدرَ المعروف موصوفاً بما ليس فيه ^(٣) فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من المدوح بدرأ له هذه الصفة العجيبة التى لم تُعرَف للبدر ، فهو مبنى على تخيل أنه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة ؛ فالكلام موضوع لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ؛ فهو كقولك « زيد رجل كيت وكيت » لم تقصد إثبات كونه رجلاً ، لكن إثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا لم يكن اسمُ المشبه به فى البيت مُجتلباً لإثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم ^(٤) من كون الاسم مجتلباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبنى على أن كون المدوح بدرأ أمر قد استقر وثبت ، وإنما العمل فى إثبات الصفة الغريبة ^(٥) .

(١) قد يقال إنه يجوز أن يقال ذلك بعد التصريح بالأداة فى الموضعين على أنه إضراب عما يفيد التشبيه من أنه أنقص من المشبه به ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٢) البيت معطوف على قوله قبله فى مدح الفتى بن خاقان :
وما منع الفتى بن خاقان نيله ولكنها الأقدار تُعطى وتحرّم
سحاب خطانى جوؤه وهو مسيل ويحرّ عَدَانِي فيضُهُ وهو مفعم
ورجلى بالجسيم ، وروى « رحلى » بالحاء : وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج ، وهذا كناية عن حرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٣) هو عدم إضاءة موضع رجله .
(٤) أى فى الوجه الأول من الوجهين اللذين فرّق بهما بين الاستعارة والتشبيه المؤكد .

(٥) اعترض عليه بأن كل هذا لا يمنع أن يقال « هو كبدر بهذه الصفة » على =

وكما يمتنع دخول الكاف في هذا ونحوه ^(١) ، يمتنع دخول « كَأَنَّ » ونحوه « تحسب » لاقتضائهما ^(٢) أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة ^(٣) ، إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه ؛ كقولنا « كَأَنَّ زيداً منطلق » ، أو خلاف الظاهر ، كقولنا « كَأَنَّ زيداً أسد » ^(٤) والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة ^(٥) فدخول « كَأَنَّ » وتحسب عليها كالقياس على المجهول ، وأيضاً هذا الجنس إذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس ^(٦) ، فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى ^(٧) .

التجريد ليس استعارة ولا تشبيهاً : وإن لم يكن اسم المشبه به خبراً للمشبه ولا في حكم الخبر ^(٨) كقولهم « رأيت بفلان أسداً ، ولقيني منه أسد »

= نحو ما سبق في تشبيه الفحم ، ويجاب عنه أيضاً بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة التي يمتنع معها مثل هذا التقدير . ولكنك قد عرفت أن الحق أن كل هذا تشبيه لا استعارة .
(١) اسم الإشارة عائد إلى ما يقترن بالصفات والصلات التي تحيل تقدير أداة التشبيه .

(٢) أي كَأَنَّ وتحسب .

(٣) يعني بهذا كونه معروفاً غير مجهول .

(٤) إنما اقتضت - كَأَنَّ - في المثال الأول الشك وفي الثاني خلاف الظاهر ؛ لأن خبرها في الأول مشتق دون الثاني .

(٥) يريد بما نحن فيه ما يقترن بالصفات والصلات السابقة ، ويعنى بكونها غير ثابتة أنها غير معلومة .

(٦) فكأنك في بيت البحترى مثلاً تقول : « ما كنا نتوهم أن هنا بداراً يضيء شرقاً وغرباً دون موضع رجلى » .

(٧) لأنه خارج على قاعدة التشبيه ؛ لأنك في بيت البحترى مثلاً كأنك تقول : « أشبهه ببلد حدث مخالفاً للبدور ما كان يعرف » وليس لمثل هذا معنى . ولا يخفى أن عبد القاهر يتكلف هذا كله مجازةً لمن يأتي إلا أن يطلق على ذلك القسم اسم الاستعارة ، فهو عنده في الحقيقة من التشبيه .

(٨) هذا معطوف على قوله فيما سبق في ص ٩٣ : فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر - فهو مقابل له .

(٧ - بغية ثالث)

سُمِّيَ تجريداً ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى ^(١) ولم يُسمَّ استعارة ؛ لأنه إنما يتصورُ الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدعى أنه مستعار له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ^(٢) والاسم فى مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يجيء على هذه الطريقة ^(٣) ما لا يتصور فيه التشبيه فيُظنُّ أنه استعارة ^(٤) كقوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ ^(٥) ؛ إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد ؛ إذ هى نفسها دار الخلد ^(٦) وقول الشاعر :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكفٍّ من بخلا ^(٧)

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

ولا يسمى ^(٨) تشبيهاً أيضاً ؛ لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لإثبات التشبيه كما سبق ، وعدَّ الشيخ صاحب المفتاح تشبيهاً ^(٩) والخلاف أيضاً لفظي ^(١٠) .

(١) فى علم البديع .

(٢) يعنى باستعماله فيه نحو قولك : « رأيت أسداً يحارب » ، ويعنى بإثباته له نحو قولك : « زيد أسد » على القول بأنه استعارة .

(٣) يعنى طريقة التجريد .

(٤) الفاء فى قوله « فيظن » للتفريع على المنفى لا على النفى .

(٥) سورة فصلت : ٢٨ .

(٦) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المغايرة بين المشبه والمشبه به ؛ فلا يصح تشبيه الشيء بنفسه .

(٧) سيأتى هذا البيت فى الكلام على التجريد فى علم البديع .

(٨) أى ما قيل إنه تجريد .

(٩) ١٨٩ - المفتاح - ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يُعدَّ تشبيهاً ؛ فلا يدخل فيه

نحو ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ سورة فصلت : ٢٨ .

(١٠) لأنه يبنى على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم

تقييده بذلك ، والأقرب كما سبق فى تعريف التشبيه أن يُعدَّ منه ما يبنى عن التشبيه من التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى : والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى كونها موضوعاً للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعمّ منهما ؛ كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقاً ؛ لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضاً لو كان موضوعاً للشجاع مطلقاً لكان وصفاً لا اسم جنس .

وقيل : الاستعارة مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى ^(١) لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ؛ لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارةً لكانت الأعلام المنقولة « كيزيد ويشكر » استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال « رأيت أسداً » يعنى زيداً إنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً إنه جعله أسداً ؛ لأن « جعل » إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير فافاد إثبات صفة للشئ ، فلا تقول « جعلته أميراً » إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ ^(٢) المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة ، واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملاً فيما وُضع له . ولهذا صحَّ التعجب فى قول ابن العميد :

قامت تَظَلَّلْنِي من الشمس نفسٌ أعزُّ عَلَى من نفسى

(١) هذا أيضاً خلاف لفظى كالخلاف السابق فى التشبيه المؤكد أنه استعارة أو لا ، ولا معنى للاشتغال بمثل ذلك فى علم البيان ، ويريد بقوله « بمعنى أن التصرف الخ » : أن المجاز العقلى هنا غير المجاز العقلى السابق فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى .
(٢) الزخرف : ١٩ .

قامت تُظَلِّلُنِي ومن عجبٍ شمسٌ تظللني من الشمس^(١)
والنهي عنه في قول الآخر :
لا تعجبوا من بلي غلاته قد زرَّ أزاره على القمر^(٢)
وقوله :

ترى الثياب من الكتان تلمحها نورٌ من البدر أحياناً فيليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالعٌ فيها^(٣)
والجواب عنه أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ
عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له . وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر
فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه؛ قضاءً لحق المبالغة .

التوفيق بين الادعاء في الاستعارة والقرينة المانعة : فإن قيل إصرار
المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع
المخصوص ؟ قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكي^(١) وهو أن
تبني دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق

(١) هما لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد يصف غلاماً جميلاً قام على
رأسه يظله من الشمس ، وإنما أنث الضمير في « قامت » لإسناده إلى نفس .

(٢) هو لأبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الخراساني ،
والبلى : الفساد ، والغلالة : ثوب صغير يلاقي البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله
« زر » بمعنى شد ، والاستعارة في إطلاق القمر على محبوبه ، ولا ينافي الاستعارة ذكر
المشبه في البيت ؛ لأن الذي ينافيها ذكره على وجه ينبيء عن التشبيه ؛ بأن يكون المشبه به
خبراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وجملة « قد زر الخ » مسوقة للتعليل ؛ لأنهم يزعمون
أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتى في البيتين بعده .

(٣) هما لأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني ، وقوله « بليها » بمعنى
يُخلقها ، والمعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها . والاستعارة في
إطلاق البدر على صاحبة المعاجر .

(٤) ١٩٨ - المفتاح

التأويل : متعارفٌ؛ وهو الذى له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ^(١) ، وغير متعارفٌ؛ وهو الذى له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى ^(٢) على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء فى عدّ نفسه وجماعته من جنس الجن، وعدّ جماله من جنس الطير للمتنبي حين قال :

نحن قومٌ ملجنّ فى زىّ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شخوصُ الجمالِ ^(٣)
مستشهداً لدعواك هاتيك ^(٤) بالمخيلات العرفية . وأن تخصّص ^(٥) القرينة
بنفيها المتعارف الذى يسبق إلى الفهم ^(٦) ليتعين الآخر ^(٧) .
ومن البناء على هذا التنويع ^(٨) قوله :
تحية بينهم ضرب وجيع ^(٩)

(١) هى صورة الحيوان المفترس . (٢) هى صورة الأسد غير المفترس وهو الرجل الشجاع .

(٣) قوله « ملجن » جار ومجرور أى من الجن ، والاستعارة فى إطلاق الطير على الجمال . أما قوله « نحن قوم ملجن » فتشبيه لا استعارة ، وقيل : إن فى البيت قلباً ؛ والأصل نحن قوم من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص الطير . والحق أنه لا قلب وأنه يريد المبالغة .

(٤) يعنى دعواه الأسدية للرجل . فقوله « مستشهداً » حال من فاعل (تبنى) فى قول السكاكى « وهو أن تبنى دعوى الأسدية الخ » . وعبارته فى المفتاح « مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم إذا رأوا أسداً هرب من ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد » . (٥) معطوف على قوله « أن تبنى دعوى الأسدية » .

(٦) هو صورة الحيوان المفترس .

(٧) هو صورة الأسد غير المفترس ، وحينئذ لا يكون هناك منافاة بين الإصرار على دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها ، لأن ما يُصرُّ عليه غير ما تُمنعُ إرادته .

(٨) يعنى تنويع الشيء إلى متعارف وغير متعارف .

(٩) هو من قول عمرو بن معديكرب :

وخيلٍ قد دكفتُ لها بخيلٍ تحية بينهم ضرب وجيع
= ١٠١

وقولهم: « عتابك السيف » وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا
بنون ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾^(١) ومنه قوله :
وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس^(٢)

الفرق بين الاستعارة والكذب : وإذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها
مجاز لغوي ؛ فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين : بناء الدعوى
فيها على التأويل^(٣) ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ؛ فإن
الكاذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلاً خلاف زعمه .

الاستعارة لا تدخل في الأعلام : وأنها لا تدخل في الأعلام^(٤) لما سبق
من أنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به والعلمية تنافي الجنسية ، وأيضاً

= والمراد بالخيال أصحابها على طريق المجاز المرسل ، وقوله « دلفت » بمعنى
نهضت ، والشاهد في جعله للتحية نوعاً آخر غير المتعارف فيها ، وهو الضرب
الوجيع ، ووصف الضرب بالوجيع مجاز ، ويجوز أن يكون بمعنى موجع ، وقد قيل :
إن هذا من التشبيه المقلوب على معنى أن ضربهم الوجيع كتحية لهم . والحق أنه من باب
التنويح ، وهو أدعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارف ، وغير متعارف على طريق
التخييل ؛ بأن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلا عن منزلته . فالمقصود نفى ما صدر به ،
يعنى لا تحية بينهم ، والتشبيه لا يفيد هذا المعنى ، بل يعكسه ويفسده .
(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) هو لجبران العود عامر بن الحارث النميري ، واليعافير : جمع يعفور وهو ولد
البقرة ، والعيس : جمع أعيس وهي الإبل التي يخالط بياضها صفرة ، والشاهد في جعله
للأنيس نوعاً غير متعارف وهو اليعافير والعيس ، وقد اعترض على هذا بأنه استثناء منقطع
لا يقدر فيه دخول المستثنى في المستثنى منه ، وكذلك الآية قبله ، فلا يدخلان في ذلك
التنويح ، ورواية الديوان :

سبأ ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

(٣) يعنى بالتأويل التجوز واعتبار العلاقة ، والكذب ليس فيه هذا التأويل ، فهو
يدخل في تعريف الحقيقة .

(٤) المراد الأعلام الشخصية ؛ لأن الأعلام الجنسية فيها عموم كأسماء الأجناس
فتصح الاستعارة فيها ، وهذا كقولك « رأيت أسامة له لبد يحارب » .

لأن العلم لا يدل إلا على تَعَيَّنْ شَيْءٍ من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرها ، فلا اشتراكَ بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفى شَيْءٌ منها جامعاً في الاستعارة ، اللهم إلا إذا تضمن نوعَ وصفية لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم «الجواد» ومادر «البخيل» وما جرى مجراهما ^(١) .

قرينة الاستعارة : وقرينة الاستعارة إما معنى واحد؛ كقولك « رأيت أسداً يرمى » أو أكثر ^(٢) كقول بعض العرب :

فإن تعافوا العدلَ والإيمانَ فإنَّ في أيماننا نيراناً ^(٣)

أى : سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر :

ناهضتهم والبارقاتُ كأنها شعلٌ على أيديهم تلهبٌ ^(٤)

فقوله « تعافوا » باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك ^(٥) لدلالته على أن جوابه أنهم يُحَارِبُونَ وَيُقَسِّرُونَ على الطاعة بالسيف ، أو معانٍ مربوط بعضها ببعض ^(٦) كما في قول البحتري :

(١) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلاً « رأيت اليوم حاتماً » كنت كأنك جعلت حاتماً موضوعاً للجواد وجعلت من رأيتَه فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستعارة أصلية؛ لأنها لم تحر في مشتق بالفعل ، وقيل : إنها تبعية .

(٢) هذا مبنى على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستعارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة ، وما عداها ترشيح أو تجريد كما سيأتى .

(٣) قوله « تعافوا » بمعنى تكرهوا . والإيمان يراد به الإسلام .

(٤) هو للبحتري في مدح إسحاق بن إبراهيم ، والتاء في « ناهضتهم » لخطاب مدوحه ، والبارقات : السيوف ، وقوله « تلهب » بمعنى تتوقد ، والشاهد في جعله السيوف شعلاً كما جعلها الأول نيراناً ، وإن كان ما هنا تشبيهاً وما هناك استعارة .

(٥) الأولى أن يجعل كل من (العدل والإيمان) باعتبار تعلق (تعافوا) به هو القرينة ؛ لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية ، والتعلق مغنوى .

(٦) فيكون مجموعها قرينة واحدة ، وبهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر .

وصاعقةٍ من نصله تنكفى بها على أرؤسُ الأقران خمسُ سحائب^(١)
 عنى بخمس سحائب: أنامل الممدوح؛ فذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال
 « من نصله » فبيّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال « على أرؤس الأقران » ثم
 قال « خمس » ، فذكر عدد أصابع اليد ؛ فبان من مجموع ذلك غرضه^(٢) .

• قسيمات الاستعارة :

ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار
 الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

أما باعتبار الطرفين فهي قسمان : لأن اجتماعهما فى شىء إما ممكن أو
 ممتنع ، واسم الأولى : وفاقية ، والثانية : عنادية .

الوفاقية : أما الوفاقية فكقوله تعالى : ﴿ أحييناه ﴾^(١) فى قوله :
 ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ﴾ فإن المراد بـ « أحييناه » هديناه أى أو من كان ضالاً
 فهديناه . والهداية والحياة لا شك فى جواز اجتماعهما فى شىء^(٢) .

(١) يروى « وصاعقة » بالجر على أنها واو رُبَّ ، ويروى بالرفع على أنه مبتدأ
 خبره جملة (تنكفى) ، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن (من) بيانية ،
 وقوله « تنكفى » بمعنى تنقلب ، « والأقران » جمع قرْن وهو النظير المكافئ . وقد
 ضمّن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء إذ جعله فى عموم العطاء كالسحائب ، وهذا من
 الاستباع الآتى فى علم البديع .

(٢) فلا يكفى فيه بعضه ، واعترض على هذا بأنه لو أسقط لفظ الخمس أو غيره
 لكفى الباقى فى بيان غرضه ، وقد قسّم السكاكى قرينة الاستعارة إلى القسمين الأولين
 فقط ، وإنى أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة .

(٣) الأنعام : ١٢٢ .

(٤) أما استعارة (ميتاً) للضال فمن العنادية الآتية؛ لأن الميت لا يوصف بالضلال إلا
 باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة، ومن الوفاقية استعارة الحياة لبقاء الذكر فى قول الشاعر:

ولقد سموتُ بهمتى وسَما بها طلبى المكارم بالفعال الأفضّل
 لأنال مكرمة الحياة وربما عشر الزمانُ بذى الدهاء الأحول

العنادية : وأما العنادية فمنها ما كان وضعُ التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف ؛ كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركاً للمعدوم في ذلك^(١) ، أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثارُ المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركاً للموجود في ذلك . أو اسم الميت للحَيِّ الجاهل ؛ لأنه عدمُ فائدة الحياة والمقصود بها أغنى العلم ، فيكون مشاركاً للميت في ذلك ؛ ولذلك جعل النوم موتاً لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحَيِّ العاجز ؛ لأن العجز كالجهل يحُط من قدر الحَيِّ^(٢) .

ثم الضدان إن كانا قابِلين للشدة والضعف كان استعارة اسم الأشدّ للأضعف أولى^(٣) وكلّ من كان أقلّ علماً وأضعف قوةً كان أولى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراكُ أقدمَ من الفعل في كونه خاصةً للحيوان كان الأقلّ علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقلّ قوةً . وكذا في جانب الأشدّ ، فكل من كان أكثرَ علماً كان أولى بأن يقال له : إنه حيّ ، وكذا من كان أشرفَ علماً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾^(٤) فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم .

العنادية التهكمية والتمليلية : ومنها ما استعمل في ضد معناه أو

(١) من هذا قول أبي تمام :

أُنْبِئْتُ عَتَبَةً يُعْوِي كِي أَشَاقَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَنِّي اسْتَأْسَدُ الْأَسَدُ
ما كنتُ أحسبُ أن الدهرَ يُمهلني حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحدُ

(٢) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ؛ كقول المتنبي :

فلم أرَ بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولم ترَ قبلي ميتاً يتكلمُ

(٣) أي من استعارته للضعيف ؛ لأن بُعد الأضعف من الأشدّ أكثر ؛ فتكون المبالغة

فيه أظهر .

(٤) سورة الأنعام : ١٢٢ ، والشاهد هنا في استعارة (أحييناه) .

نقيضه؛ بتزليل التضاد أو التناقض ^(١) منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح ^(٢) على ما سبق في التشبيه كقوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٣) ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التمليلية ^(٤) .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

وأما باعتبار الجامع فهي قسمان: أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلاً في مفهوم الطرفين ^(٥) كاستعارة الطيران للعدو ؛ كما في قول امرأة من بنى الحارث ترثي قتيلاً :

لو يشا طارَ به ذو مِيعَةٍ لاحقُ الأَطال نَهْدٌ ذو خُصَلٍ ^(٦)
وكما جاء في الخبر: « كلما سمع هِيعَة طار إليها » ^(٧) فإن الطيران والعدو

(١) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، والتناقض تقابل الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودي والآخر عَدَمِي كحيوان ولا حيوان .

(٢) قد سبق تعريف التهكم والتلميح في ص ٨١ .

(٣) آل عمران : ٢١ . وفي التوبة : ٣٤ ، وفي الانشقاق : ٢٤ . فقد استعيرت فيه البشارة وهي الإخبار بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم ، ثم اشتق من البشارة « بَشَرٌ » بمعنى أُنذِر .

(٤) منه قول الشاعر :

سليمانُ ميمونُ النقيبة حازمٌ ولكنه وقفَ عليه الهزائمُ
وقول أبي تمام :

أُنْبِتُ عَتَبَةَ يعوى كى أشاتمهُ الله أكبر أنى استأسد الأسدُ
وفي رواية « النقد » بدل « الأسد » وهو جنس من الغنم قبيح .

(٥) بأن يكون جنساً أو فصلاً لمفهومهما .

(٦) قوله « يشا » أصله يشاء ، والضمير فيه لمن ترثيه ، والمِيعَة : النشاط ، والآطال : جمع إطل وهو الخاصرة ، ولاحقها : ضامرها ، والنهد : القوى ، والخصل : جمع خصلة وهي الشعر المجتمع . تعنى أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس ، وقد نسب العيني في الشواهد الكبرى هذا البيت لعلامة .

(٧) هو من قوله ﷺ « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ؛ كلما سمع هِيعَة طار إليها » الحديث ، والهية : الصيحة للجهد .

يَشْتَرِكَانِ فِي أَمْرٍ دَاخِلٍ فِي مَفْهُومِهِمَا؛ وَهُوَ قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِسُرْعَةٍ^(١) وَلَكِنَّ الطَّيْرَانَ
أَسْرَعَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَنَحْوُهُمَا قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

فَطَرْتُ بُنْتُصَلَى فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامَى الْأَيْدِ يَخْبُطُنَ السَّرِيحَا^(٢)

يَقُولُ : إِنَّهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرِعاً إِلَى نَوْقٍ فَعَقَرَهُنَّ وَدَمِيتَ أَيْدِيَهُنَّ ، فَخَبَطُنَ
السَّيُورَ الْمَشْدُودَةَ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ . وَكَاسْتَعَارَةَ الْفَيْضِ لَانْبِسَاطِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ :
كَالْفَجْرِ فَاضَ عَلَى نَجُومِ الْغَيْهِبِ^(٣)

فَإِنَّ الْفَيْضَ مَوْضُوعٌ لِحَرَكَةِ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ يَفَارِقُ
مَكَانَهُ دَفْعَةً فَيَنْبَسِطُ ، وَلِلْفَجْرِ انْبِسَاطٌ شَبِيهِ ذَلِكَ ، وَكَاسْتَعَارَةَ التَّقْطِيعِ لَتَفْرِيقِ
الْجَمَاعَةِ وَإِبْعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَطَقَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَمْمًا ﴾^(٤) فَإِنَّ الْقَطْعَ مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مُلْتَزِقٌ
بِبَعْضٍ ، فَالْجَمَاعُ بَيْنَهُمَا إِزَالَةُ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَفْهُومِهَا ، وَهِيَ فِي
الْقَطْعِ أَشَدُّ . وَكَاسْتَعَارَةَ الْخِيَاطَةِ لِسُرْدِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الْقَطَامِيِّ :

لَمْ تَلَقْ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مَنَا عَشِيَّةً يَجْرَى بِالْدَمِ الْوَادِي
نُقْرِيهِمْ لِهَظْمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٥)

(١) لَا يَخْفَى أَنَّ السَّرْعَةَ فِي الطَّيْرَانِ لَازِمَةٌ لَهُ وَلَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي مَفْهُومِهِ .
(٢) هُوَ لِلْمُضَرَّسِ بْنِ رَبْعَى الْعَقْمَسِيِّ . وَالْمَنْصَلُ : السَّيْفُ ، وَالْيَعْمَلَاتُ : النُّوْقُ
الْمَطْبُوعَةُ عَلَى الْعَمَلِ ، وَالْأَيْدِ : مَخْفَفُ الْأَيْدِي ، وَالسَّرِيحُ : السَّيْرُ الَّذِي يُشَدُّ عَلَى
أَرْجُلِهَا .

(٣) هُوَ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

يَتَرَاكُمُونَ عَلَى الْأَسْنَةِ فِي الْوُغَى كَالْفَجْرِ فَاضَ عَلَى نَجُومِ الْغَيْهِبِ
وَقَوْلُهُ « يَتَرَاكُمُونَ » بِمَعْنَى يَجْتَمِعُونَ بِكَثْرَةٍ وَازْدِحَامٍ . وَالْأَسْنَةُ : الرِّمَاحُ ،
وَالْوُغَى : الْحَرْبُ ، وَالْغَيْهِبُ : الظُّلْمَةُ . وَإِنَّمَا جَعَلَهُمُ كَالْفَجْرِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عَلَيْهِمْ مِنَ
الدَّرْعِ اللَّامِعَةِ .

(٤) الْأَعْرَافُ آيَةُ ١٦٨ .

(٥) هُمَا لَعْمِيرُ بْنُ شَيْمٍ الْمَعْرُوفُ بِالْقَطَامِيِّ ، وَضَمِيرُ الْغَيْيَةِ فِي « نَقْرِيهِمْ »
لِإِخْوَتِهِمْ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ وَكَانُوا أَعْدَاءَهُمْ ، وَالْقَرَى : فِي الْأَصْلِ : طَعَامُ الضَّيْفِ فَاسْتَعِيرَ =

فإن الخياطة تضم خرقَ القميص ، والسرد يضم حلقَ الدرع ؛ فالجامع بينهما الضم الذى هو داخل فى مفهومهما ، وهو فى الأول أشد . وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب :

نثرتهم فوق الأُحَيْدِبِ نثرةً كما نُثِرَتْ فوق العروسِ الدِّراهِمُ^(١)

لأن النثر أن يُجمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعةً من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعةً من غير ترتيب ونظام ، ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه^(٢) .

ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين ؛ كقولك « رأيت شمسا » ، وتريد إنساناً يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التألؤ ، وهو غير داخل فى مفهومهما^(٣) .

الاستعارة العامية والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عامية وخاصية^(٤) ؛ فالعامية: المبتدلة لظهور الجامع فيها؛ كقولك « رأيت أسداً ووردت

= لضربهم باللهذميات على سبيل الاستعارة التهكمية ، واللهذميات : جمع لهزم وهو السيف القاطع ، والنسبة فيها للمبالغة . والزَّراد : صانع الزرد وهو الدرع . وإسناد الجرى إلى الوادى مجاز عقلى .

(١) الخطاب فى « نثرتهم » سيف الدولة ، والأحيدب : جبل ببلاد الروم .

(٢) فهو مجاز عقلى .

(٣) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

فى الحدِّ إن عزم الخليطُ رحيلاً مطرٌ تزيد به الحدود محولاً
وقول الآخر (ابن المعتز):

أثمرت أغصان راحته لجُناة الحسن عُناباً

وإنى أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كيز فائدة .

(٤) الخاصية أبلغ من العامية ، والمقبول منهما ما لا يبعد جداً حتى لا يغيب عن

الفهم ، وما لا يقرب جداً فيُسْتَبَرِد ، ولكل منهما مقامات تليق به .

بحراً» . والخاصية : الغريبة التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقه العامة ،
كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التنزيل . وكقول طُفَيْلِ الغنوى :
وجعلتُ كَوْرَى فوق ناجيةٍ يفتاتُ شحمَ سَنَامِها الرَّحْلُ^(١)
وموضع اللطف والغرابة منه : أنه استعار الافتيات لإذهاب الرَّحْل شحمَ
السنام ؛ مع أن الشحم مما يفتاتُ . وقول ابن المعتز :
حتى إذا ما عرف الصَّيْدُ الضَّارَّ وأذنَ الصُّبْحُ لنا فى الإبصار^(٢)
لما كان تعذر الإبصار منعاً من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح
إذنّاً منه ، وقول الآخر :
بعرض تنوفةٍ للريح فيه نسيمٌ لا يروّع فى التراب^(٣)
وقوله :

يناجبنى الإخلاف من تحت مظله فتختصم الآمالُ واليأسُ فى صدرى^(٤)
ثم الغرابة قد تكون فى الشبه نفسه^(٥) . كما فى تشبيه هيئة العنان فى

(١) هو لطفيل بن عوف الغنوى ، والكور : رحل البعير ، والناجية : الناقة
السريعة ، وإنما أفاد اقتيات الشحم الغرابة ؛ لأن فيه تخيل أن ذلك حقيقة .
(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والضار : تخفيف الضارى وهو المتعود للصيد ، فاعل
مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعنى أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلمة ، وفى رواية « حتى
إذا ما عرف الصيد انصار » أى انضم وانجمع أو مال ، يصف بذلك بازى الصيد .
(٣) هو لسوَّار بن المضرب السعدى ، وقيل : إنه لجحدر بن مالك الحنفى ،
ويروى الشطر الثانى « نسيم لا يروّع التراب وان » وقبله :

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغوانى

والتنوفة : الصحراء أو الأرض الواسعة ، وعرضها : جانبها . ويروى « فيها »
بدل (فيه) . والشاهد فى استعارة الروع وهو الفزع لإثارة الريح للتراب بجامع
التحريك ، ولا شك أن معرفة هذا الجامع فيهما إنما يدركها الخاصة .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف : عدم الوفاء ، والمطل : التأخير فى إجابة
المطلوب . والشاهد فى استعارة المناجاة وهى المسارة بالحديث للخطور فى الذهن .

(٥) يعنى بالشبه : التشبيه ؛ أى فى التشبيه نفسه لا فى الجامع ، بأن يكون تشبيهاً
نادراً لبعد ما بين الطرفين ، كما فى البيت ؛ فإن أحدهما من وادى القعود والآخر من
وادى الركوب ، مع ما فى ذلك من كثرة التفصيل .

موقعه من قَرْبُوس السرج بهيئة الثوب فى موقعه من ركة المحتبى فى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدَّب :

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علكَ الشكيمَ إلى انصرافِ الزائرِ^(١)

وقد تحصل بتصرف فى العامية ؛ كما فى قول الآخر :

وسالت بأعناق المطى الأباطح^(٢)

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً فى غاية السرعة ، وكانت سرعة فى لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولاً وقعت فى تلك الأباطح فجرت بها .

ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعابُ الحى حين دعا أنصاره يوجوه كالدنانير^(٣)

أراد أنه مطاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من هنا وهناك ، وتنصب من هذا المسيل وذاك ، حتى يغص بها الوادى ويطفح

(١) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس : السرج ، وقيل مقدمه حقيقة أو مجازاً ، والعنان : سير اللجام ، وقوله « علك » بمعنى مضغ ، والشكيم : الحديد المعتبرة فى فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى عودته ، فهو يعنى بالزائر نفسه على الالتفات . والشاهد فى استعارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لإيقاع العنان بالقربوس ، ويجوز رفع « قربوسه » على أنه فاعل (احتبى) .

(٢) هو من ثلاثة أبيات سبقت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى^١ ، والشاهد فى استعارة سيل السيول فى الأباطح لسير الإبل بسرعة فى لين وسلاسة .

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والشعاب : جمع شعب وهو الطريق فى الجبل والناحية ، والحى : القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه فى قوله « بوجوه كالدنانير » : الاستدارة والإشراق .

منها، وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة ، وذلك أن أسند الفعل إلى الأباطح والشعاب^(١) دون المطى أو أعناقها والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل والشعاب من الرجال على ما تقدم^(٢) فى قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾^(٣) وفى كل واحد منهما شئ غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة ؛ أما الذى فى الأول فهو أنه أدخل الأعناق فى السير ؛ فإن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران غالباً فى أعناقها على ما مر ، وأما الذى فى الثانى فهو أنه قال « عليه » ؛ فعُدَّى الفعل إلى ضمير الممدوح بـ (على) ، فأكد مقصوده من كونه مطاعاً فى الحى .

وكما فى قوله :

فَرَعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقُضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ^(٤)
إِذْ وَصَفَ الْقُضِيبَ بِالْعَجَلَةِ ، والدَّعْصَ بِالْبُطْءِ^(٥) .

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ؛ كقول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأُرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّكُلٍ^(٦)

-
- (١) هذا مجاز عقلى من إسناد الحال للمحل .
 (٢) فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى من أنه أثر ذلك على « اشتعل شيب الرأس » ليفيد عمومته للرأس .
 (٣) سورة مريم آية : ٤ .
 (٤) الفرعاء : الطويلة ، والقضيب : الغصن استعير لقامتها ، والدعص : كشيبي الرمل المجتمع ، استعير لردفها .
 (٥) فغرابتها نشأت من المجاز العقلى أيضاً مع ما فيها من الطباق بين « عجل وأبطأ » .

(٦) قوله « تمطى » بمعنى تمدد ، والصلب : عظم فى الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشئ أو الجسم ؛ فالصلب : مستعار لوسط الليل ، والكلكل : مستعار لمقدمه ، والأعجاز : مستعارة للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هى الاستعارات التى جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة .

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به؛ إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطية شىء ، وبالعكس فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده؛ فاستعار له كلكلاً ينوء به أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر^(١) : « لما جعل ليل صلباً قد تمطى به ، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدّامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومدّه فى عرض الجو »^(٢) .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع :

وأما باعتبار الثلاثة - أعنى الطرفين والجامع - فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى؛ لما مر^(٣) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى؛ فكقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ ﴾^(٤) فإن المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلى القبط التى سبكتها نار السامرى عند إلقائه فيها التربة التى أخذها من موطىء حيزوم فرس جبريل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل^(٥) والجميع حسى^(٦) . وكقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي »

(١) ٥٤ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٢) فقابل هذا بالكلل والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٣) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقلى .

(٤) سورة طه آية ٨٨ . (٥) أى مع الخوار .

(٦) الحق أن ما فى الآية تشبيه لا استعارة؛ لأن جسداً بدل من « عجلاً »؛ فيكون

التقدير : فأخرج لهم مثل عجل جسداً له خوار .

بعض^(١) فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾^(٢) فليس مما نحن فيه وإن عدَّ منه ؛ لأن فيه تشبيهاً : تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية ، والجامع في الثاني عقلي^(٣) . وكلامنا في غيرهما^(٤) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ؛ فكقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾^(٥) فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظلّه ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتّب أمر على آخر^(٦) . وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل . وليس بسديد . لأنه لو كان ذلك لقال « فإذا هم مبصرون » ونحوه ولم يقل ﴿ فإذا هم مظلّمون ﴾ أى داخلون فى الظلام^(٧) قيل : ومنه قوله تعالى :

(١) سورة الكهف آية ٩٩ .

(٢) مريم آية ٤ .

(٣) قيل : إنه مركب من حسي وعقلي ؛ لأن سرعة الانبساط حسية ، وتعذر التلافي عقلي .

(٤) أى فى غير الاستعارة بالكناية وفى غير الوجه العقلي ؛ لأن الكلام فى استعارة المحسوس للمحسوس استعارةً تصرّحية بوجه حسي ، وهو يقصد السكاكى بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصرّحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٥) سورة يس آية ٣٧ .

(٦) الحق أن هذا الترتّب حسيّ لتعلقه بأمر محسوسة ، وإنما يكون الترتّب عقلياً فى مثل ترتّب النتيجة على العلم بالمقدمات .

(٧) أجيب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء =

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾^(١) فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ الْمَرْأَةُ ، وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ الرِّيحُ ، وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظَهْوَرِ النَّتِيجَةِ وَالْأَثَرِ ؛ فَالطَّرْفَانِ حَسِيَانِ وَالْجَامِعُ عَقْلِي . وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ الْعَقِيمَ صِفَةً لِلْمَرْأَةِ لَا اسْمٌ لَهَا ، وَكَذَلِكَ جُعِلَتْ صِفَةً لِلرِّيحِ لَا اسْمًا^(٢) . وَالْحَقُّ أَنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ مَا فِي الْمَرْأَةِ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الْحَمْلِ^(٣) ، وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ مَا فِي الرِّيحِ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْشَاءِ مَطَرٍ وَإِلْقَاحِ شَجَرٍ ، وَالْجَامِعُ مَا ذُكِرَ^(٤) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه مختلف : وأما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي فكقولك « رأيت شمساً » وأنت تريد إنساناً شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وأهمل السكاكي هذا القسم^(٥) .

= الظلمة ، فيكون المعنى في الوجهين واحداً ، وإن كان مبنًى الأول على أن النهار ظُرفٌ للظلمة ، ومبنى الثاني على أن الظلمة ظرف للنور .
(١) الذاريات آية ٤١ .

(٢) يريد بهذا أن (العقيم) هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلي لا حسي .
(٣) هي صفة العقم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الرِّيح .
(٤) على هذا يكون ما في الآية من استعارة المعقول للمعقول استعارة تصريحية تبعية ، وقد أجيب عن أصل النظر بأن من يجعل المستعار منه المرأة والمستعار له الرِّيح يذهب إلى أن ذلك استعارة بالكناية ، ويجعل العقم قرينة لهذه الاستعارة ، وردَّ بأن استعارة المرأة للرِّيح معناها ادعاء أن الرِّيح فرد من أفراد النساء وهذا غير مقصود ؛ لأنَّ ثبوت ذلك للرِّيح لا يفيد أنها عقيم ، وذلك لأنَّ العقم ليس صفةً للنساء مطلقاً ولا غالباً .

ومن استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلي قول الشاعر :
قولا لدودان عبيد العصا ما غرَّكم بالأسد الباسل
ومنها أيضاً ما جاء في المثل : « إن البغاث بأرضنا يستنسر » .
(٥) من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر في رثاء ولد له :
وهلال أيام مضى لم يستدرْ بَدْرًا ولم يُمهَلْ لوقت سراج
عجل الكسوف عليه قبل أوانه فمحاهُ قبل مَظَنَّةِ الإبدار

استعارة معقول لمعقول : وأما استعارة معقول لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدْنَا ﴾^(١) فإن المستعار منه الرقاد^(٢) والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال^(٣) ، والجميعُ عقلي^(٤) .

استعارة محسوس لمعقول : وأما استعارة محسوس لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾^(٥) فإن المستعار منه صدعُ الزجاجة وهو كسرُها ، وهو حسي^(٦) ، والمستعار له تبليغ الرسالة^(٧) ، والجامع لهما التأثير . وهما عقليان ، كأنه قيل : « أَبْنِ الْأَمْرَ إِيَّانَهُ لَا تَنْمَحَى كَمَا لَا يَلْتَمُّ صَدْعُ الزَّجَاجَةِ » وكقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ ﴾^(٨) جعلت الذلة محيطةً بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من ضُرِبَتْ عليه ، أو ملصقةً بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يُضْرَبُ الطين على الحائط فيلزمه ؛ فالمستعار منه إما ضرب القبة على الشخص وإما ضرب الطين على الحائط ، وكلاهما

(١) يس آية ٥٢ .

(٢) ظاهر هذا أن (مرقدنا) في الآية مصدر ميمي ، ويجوز أن يكون اسم مكان فيكون المستعار منه الرقاد أيضاً ، ثم يشتق منه اسم المكان بعد استعارته للموت .

(٣) أو البعث ؛ وقد رُجِعَ بأنه في النوم أظهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه لأجد ، وعدم ظهور الأفعال بالعكس ، والجامع لا بد أن يكون أقوى في المستعار منه .

(٤) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى

شبه التَّرك بالبيع ، والحصول بالاشتراء ، بجامع الحرمان في الأول والتحقق في الثاني ، ثم استعار المشبه به للمشبه فيهما ، واشتق منه (تباع) بمعنى تترك (وتشتري) بمعنى يُحصل عليها .

(٥) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٦) لتعلقه بحسي .

(٧) اعترض على هذا بأنه حسي يدرك بالسمع ؛ فالأولى أن يجعل المستعار له

إظهار الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسي .

(٨) سورة آل عمران آية ١١٢ .

حَسَىّ ، والمستعار له حالُّهم مع الذلة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان^(١) .

استعارة معقول لمحسوس : وأما استعارة معقول لمحسوس فكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾^(٢) فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان^(٣) .

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار اللفظ^(٤) فقسمان : لأنه إن كان اسمَ جنس فأصلية كأسد وقتل^(٥) ، وإلا فتبعية ؛ كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ؛ لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً^(٦) ، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق^(٧) كما فى قولك « جسم أبيض وبياض صاف » دون معانى الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف^(٨) ؛ فإن قلت : فقد قيل فى نحو « شجاع باسل ، وجواد فيّاض ، وعالم نحرير » إن باسلاً وصفٌ لشجاع ، وفياضاً وصفٌ

(١) يجوز جعل ذلك من الاستعارة المكنية بتشبيه الذلة بالقبّة .

ومن استعارة المحسوس للمعقول قول أبى تمام :

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأنَّ له حاجةً فى السَّماء

(٢) الخاقّة : ١١ .

(٣) من استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ الخاقّة : ٦ . وقوله أيضاً : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ آية ٨ سورة الملك .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، وقد ذكروا أن هذا التقسيم يجرى فى المكنية أيضاً .

(٥) يشير بالمثالين إلى أن اسم الجنس قد يكون اسم ذات كأسد ، وقد يكون اسم

معنى كقتل .

(٦) أى بوجه الشبه بحيث يصح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضى التشبيه مثل هذا

فى المشبه به ، ولو ذكر هذا المكان أنسب باستدلّاله .

(٧) يعنى بها الأمور المتقررة الثابتة فى نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل

ونحوهما .

(٨) لأن الأفعال والمشتقات غير متقررة ، والحروف غير ثابتة فى نفسها .

لجواد ، ونحريراً وصف لعالم^(١) ، قلت : ذلك متأولٌ بأن الثوانى لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفاً بالأول^(٢) .

فالتشبيه فى الأفعال والصفات المشتقة منها لمعانى مصادرها^(٣) ، وفى الحروف لمتعلقات معانيها ؛ كالمجرور^(٤) فى قولنا « زيد فى نعمة ورفاهية » فيقدر التشبيه فى قولنا : « نطقت الحال بكذا ، والحال ناطقة بكذا » للدلالة بمعنى النطق^(٥) ، وعليه فى التهكمية قوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾^(٦) بدل فأنذرهم ، وقوله تعالى : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾^(٧) بدل السقيى

(١) فقد وُصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وُصف الجسم والبياض بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما فى ذلك .
(٢) فقولك « شجاع باسل » مثلاً إنما هو على تقدير « زيد شجاع باسل » فكل منهما فى الحقيقة صفة لزيد .

(٣) أى المحققة أو المقدرة كما فى الأفعال التى لا مصادر لها .
(٤) هذه طريقة الخطيب فى إجراء الاستعارة التبعية فى الحروف ؛ فهى تابعة عنده للتشبيه فى متعلقاتها من مجروراتها ونحوها ، وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ، وليس هو التعلق النحوى المعروف ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت النعمة على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل فى النعمة لفظ « فى » كما يستعمل فى الدار ونحوها ، والجمهور على أن متعلقات الحروف هى معانيها الكلية ، فيجوز التشبيه فيها أولاً ثم تبنى عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت ملابسة النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للمظروف ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به وهو « فى » .
وبعض الجمهور لا يكتفى بإجراء التشبيه فى متعلقات الحروف بل يوجب إجراءه فى جزئياتها بعدها ، وبهذا يجعل الاستعارة فى جزئياتها دونها ، والخطب فى ذلك سهل ، وطريقة الخطيب أظهر .

(٥) ثم يستعار النطق للدلالة ، ثم يشتق من النطق « نطقت أو ناطقة » بمعنى « دلت أو دالة » والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، وهكذا كل الاستعارات فى الأفعال والمشتقات ؛ فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة فى مصادرها ، ولا خلاف هنا بينهم فى ذلك .

(٦) آل عمران : ٢١ ، التوبة : ٣٤ .

(٧) هود : ٨٧ .

الغوى ، وفي لام التعليل^(١) كقوله تعالى : ﴿ فَالْبَقِيَّةُ أَلْ فَرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًّا وَحَزَنًا ﴾^(٢) للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط^(٣) .

ومما يتصل بهذا أن « يا » حرفٌ وُضِعَ في أصله لنداء البعيد استعمل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المنادى ؛ أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب : « يا فلان » ، وأما الثاني فكقول الداعى في جُؤاره : « يا رب يا الله » وهو أقرب إليه من حبل الوريد ؛ فإنه استقصارٌ منه لنفسه واستبعادٌ لها من مظان الزُّلْفَى ومما يقربُه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضمًا لنفسه وإقرارًا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والأذن^(٤) لندائه وابتهاله .

واعلم أنَّ مدار قرينة التبعية^(٥) في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كما مر في قولك : « نطق الحال » ، أو إلى المفعول ؛

كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ قتلَ البخلَ وأحيا السَّماحا^(٦)

(١) عطف على قوله « في قولنا نطق الحال » إلخ .

(٢) القصص : ٨ .

(٣) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال : « شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية كالمحبة والتبني عليه ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به ، وهو لام التعليل . (٤) أى الاستماع .

(٥) يعنى بهذا أن الأكثر في قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها حالية ، كقوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى فَأُحْيِيْنَاهُ ﴾ آية ١٢٢ سورة الأنعام وقوله ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾ آية ٧٧ سورة الزخرف .

(٦) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبه إزالة البخل بالقتل ، وإذاعة السماح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه قتل بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السماح واشتق منه « أحيا » بمعنى أذاع ، وقرينة ذلك نسبة « قتل » إلى البخل ونسبة « أحيا » إلى السماح .

وقول كعب بن زهير :

صَبَّحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مَرْهَفَاتٍ أَبَادَ ذَوَى أَرْوَمَتِهَا ذُؤُوهَا^(١)

والفرق بينهما أن الثانى مفعول ثان دون الأول . ونظير الثانى قوله :

نُقْرِيهُمْ لَهُذِمِيَّاتٍ نَقَدُّ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٢)

أو إلى المفعولين : الأول والثانى ؛ كقول الحريرى :

وَأَقْرِى الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الْحَرُونَ الشَّمُوسَا^(٣)

أو إلى المجرور كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٤) .

قال السكاكى^(٥) : «أو إلى الجميع كقول الآخر :

تُقْرِى الرِّيحُ رِيَاضَ الْحَزَنِ مَزْهَرَةً إِذَا سَرَى النَّوْمُ فِي الْأَجْفَانِ إِيقَاظًا^(٦)

(١) الخزرجية : هم الخزرج من الأنصار ، والمرهفات : السيوف المرققة ، والأرومة : الأصل . والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزرجية ، والضمير فى « ذؤوها » يعود إلى مرهفات . وفى رواية : أبان ذوى أرومتها ذؤوها . فيكون المراد السيوف التى كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها كما هى عادة ملوكهم . والشاهد فى قوله « صبحنا الخ » لأنه فى الأصل بمعنى التحية بالسلام صباحاً ، فاستعير لضربهم بالمرهفات على سبيل التهكم ، والقرينة نسبة « صبحنا » إلى « مرهفات » .
(٢) انظر ص ١٠٧ ، والشاهد فى قوله « نقرهم لهذميات » وهى استعارة تهكمية أيضاً .

(٣) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى . وقوله « أقرى » مأخوذ من القرى وهو طعام الضيف ، وروى « أقر » على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس : بمعنى واحد وهو الذى لا ينقاد ، والشاهد فى قوله « وأقرى المسامع » استعير القرى للإلقاء البيان فى الأذان بقرينة نسبته إلى مفعوله .

(٤) آية ٢١ سورة آل عمران ، التوبة : ٣٤ . (٥) ٢٠٤ - المفتاح .

(٦) الحزن : الأرض الغليظة ، وإيقاظاً : مفعول ثان لتقرى . استعار القرى لإحداث الرياح الإيقاظ فى الرياض بقرينة نسبته إلى الفاعل والمفعولين والمجرور جميعاً ، والمعنى أنها تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

وفيه نظر^(١) .

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج :

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام : أحدها المطلقة : وهى التى لم تقترب بصفة ولا تفرع كلام^(٢) ، والمراد المعنوية لا النعت .

المجردة : وثانيها المجردة ، وهى التى قرنت بما يلائم المستعار له^(٣) كقول كثير :

غَمِرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتُ لَضَحِكَهُ رِقَابُ الْمَالِ^(٤)

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يُلْقَى عليه ، ووصفه بالغمر الذى هو وصفُ المعروف لا الرداء^(٥) فنظر إلى المستعار له ، وعليه قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٦) حيث

(١) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل فى القرينة؛ لتعلقه مع جاره بقوله «سرى» لا بقوله «تقرى»، ولعله يعلقهما بـ «إيقاظا» .

(٢) يعنى أنها لم تقترب بصفة ولا تفرع يلائمان المستعار له أو المستعار منه لا مطلق صفة وتفرع ، والفرق بين الصفة والتفرع أن الملائم إن كان من بقية جملة الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاماً مستقلاً عنها فهو تفرع ، ومن الاستعارة المطلقة قول الشاعر :

فرعاً إن نهضت لحاجتها عجل القضيْبُ وأبطأ الدَّعْصُ

(٣) يعنى أنها قرنت بصفة أو تفرع يلائمه ، ولا بد أن يكون ذلك زائداً على قرينتها ؛ لأن القرينة من جملة الاستعارة، وهى مما يلائم المستعار له ، فإذا لم يكن فيها مما يلائمها إلا القرينة فهى مطلقة ، والأول أولى بالقرينة وما بعده تجريد .

(٤) هو لكثير بن عبد الرحمان المعروف بكثير عزة ، والغمر : الكثير وهو إما مأخوذ من « غمر الماء » إذا كثر ، أو من قولهم « ثوب غامر » أى واسع ؛ فيكون تجريداً على الأول وترشيحاً على الثانى . وقوله « غلقت الخ » بمعنى تمكنت من أيدي السائلين ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر الراهن على انفكاكه . وقوله « تبسم ضاحكاً » قرينة الاستعارة ، وفى « رقاب المال » استعارة بالكناية .

(٥) هذا على أنه مأخوذ من « غمر الماء » كما سبق ؛ لأن المعروف يوصف بالكثير دون الرداء .

(٦) النحل : ١١٢ .

قال ﴿أذاقها﴾ ولم يقل كساها ؛ فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس^(١) كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف^(٢) . قال الزمخشري : « الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلاء والشدائد وما يمس الناس منها ؛ فيقولون « ذاق فلان البؤس والضرر ، وأذاقه العذاب » شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع^(٣) » . فإن قيل : الترشيع أبلغ من التجريد فهلاً قيل « فكساها الله لباس الجوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة . فإن قيل : لم لم يقل « فأذاقها الله طعم الجوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوّت لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس .

المرشحة : وثالثها المرشحة .

وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه^(٤) كقوله :

ينازعني ردائي عبدٌ عمرو رؤيدك يا أبا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر^(٥)

(١) يريد بما استعير له اللباس : ما يغشى الإنسان من بعض السحوات كالعذاب

ونحوه .

(٢) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٣) يجوز أن يشبه ما يغشى الإنسان من ذلك بمطعم مرّ على طريق الاستعارة

المكنية .

(٤) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفرّيعاً كما سبق في المجردة ، ولا بد أن يكون

في الاستعارة بالكناية الآتية زائداً على قرينتها ؛ لأن الأقسام الثلاثة تأتي فيها كما تأتي في الاستعارة التصريحية .

(٥) رويد : مصدر نائب عن فعله بمعنى أمهل ، والشطر : النصف .

وقوله « اعتجر » أمر من الاعتجار وهو الاهتمام . ويقال « اعتجرت المرأة » إذا لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها ، والمراد بالشطر الذي ملكت يمينه : قائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، يعني أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه .

فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ، ووصفه بالاعتجار الذى هو وصفُ الرداء ، فنظر إلى المستعار منه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾^(١) فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ؛ فنظر إلى المستعار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما فى قول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مَقْدَفٌ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ^(٢)

والترشيح أبلغ من التجريد^(٣) ؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه^(٤) حتى إنه يوضعُ الكلام فى علوِّ المنزلة وضعه فى علو المكان ، كما قال أبو تمام :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْلُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ^(٥)

(١) البقرة - ١٦ .

(٢) انظر ص ٩١ ، والاستعارة فى قوله « أسد » و « شاكى السلاح » تجريد ، و « مقذف » تجريد إن كان بمعنى مقذف فى الحروف ، وإلا فليس بتجريد ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٣) هو أيضاً أبلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التجريد والترشيح ؛ لأنه فى حكم الإطلاق ، والإطلاق وما فى حكمه أبلغ من التجريد .

(٤) أى على كمال تناسيه لأن الاستعارة كلها مبنية على تناسيه ، لا الترشيح وحده ، ولو جعل الترشيح مبنياً على تناسي الاستعارة لكان أولى .

(٥) هو فى رثاء خالد بن يزيد الشيبانى ، وقبلة :

فَقَدْ مَاتَ جَدُّكَ جَدَّ الْمُلُوكِ وَنَجْمُ أَيْبِكَ حَدِيثُ الضِّيَاءِ

فَمَا زَالَ يَبْرُقُ تِلْكَ الْعَمَلَا مَعَ النَّجْمِ مَرْتَدِئاً بِالْعَمَاءِ

شبه ارتقاء منزلته بالصعود الحسى ، ثم اشتق من الصعود (يصعد) بمعنى ترتقى منزلته . والجهول : مبالغة فى الجاهل ، ولو ترك المبالغة فى ذلك لكان أليق بما يقصد من المبالغة فى المدح ، ولعله يعنى أن الجهول هو الذى يظن ذلك ، أما غيره فيعرف أنه لا حاجة له فيها لكمال غناه .

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على إنكاره فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجهٌ.

وكما قال ابن الرومي :

يا آلَ نُوبِختَ لا عِدِمْتَكُمْ ولا تبدلتُ بعندكم بدلاً^(١)
إنَّ صحَّ علمُ النجوم كان لكم حقاً إذا ما سواكم انتحلاً^(٢)
كم عالمٌ فيكم وليس بأنَّ قاسَ ولكن بأنَّ رقيَ فعلاً^(٣)
أعلاكمُ في السماء مجدكمُ فلستم تجهلون ما جهلاً
شافهتُمُ البدرَ بالسؤال عن الـ أمر إلى أن بلغتُمُ زحلاً^(٤)
وكما قال بشار :

أَتَنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَ^(٥)

وكما قال أبو الطيب :

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ^(٦)

(١) الأبيات لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي في مدح أبي سهل النوبختي ، ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور .

(٢) قوله « انتحل » بمعنى ادعى لنفسه شيئاً هو لغيره .

(٣) يعنى بقوله « قاس » : أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين ، وقوله « فعل » معطوف على رقي ، والشاهد في قوله « رقي » ، وما بعده من قوله « أعلاكم في السماء الخ » فقد استعار فيه العلو الحسى للارتفاع في المجد ، ثم تناسى التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن الكواكب بالمشافهة .

(٤) زحل : أعلى الكواكب السيّارة .

(٥) هو لبشار بن برد ، وقوله « تبرح » بمعنى تفارق ، وقد استعار الشمس

لمحبوبته ، ثم تناسى التشبيه فبنى عليه قوله « ولم تك تبرح الفلكا » .

(٦) يعنى بقوله « كبرت » قوله « الله أكبر » تعجباً ، والشاهد في أنه استعار الشموس لمدوحيه ، ثم تناسى التشبيه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها إنما تطلع من المشرق .

وكما قال غيره :

ولم أرَ قبلى من مشى البدرُ نحوهَ ولا رجلاً قامت تعانقه الأسدُ^(١)
ومن هذا الفن^(٢) ما سبق من التعجب والنهى عنه^(٣) ، غير أن مذهب
التعجب على عكس مذهب النهى عنه ؛ فإن مذهبه إثبات وصف ممتنع ثبوته
للمستعار منه^(٤) ، ومذهب النهى عنه إثبات خاصّة من خواص المستعار منه^(٥) .
وإذا جاز البناء على المشبه به^(٦) مع الاعتراف بالمشبه - كما فى قول
العباس بن الأحنف :

هى الشمسُ مسكنُها فى السماء فعزّ الفؤادَ عزاءً جميلاً^(٧)
فلن تستطيع إليها الصعودُ ولن تستطيع إليك التزولا
وقول سعيد بن حميد :

قلتُ: زورى فأرسلتُ: أنا آتيك سَحَرَه^(٨)

(١) الحق أن هذا البيت لأبى الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من
قصيدة له فى مدح محمد بن سيار التميمي ، ورواية الديوان : البحر بدل البدر ،
وقبله :

فلما رآنى مقبلاً هزّ نفسه إلى حسامٍ كلُّ صفحٍ له حدٌ
والشاهد فى أنه استعار البدر والأسد لمدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه لم ير
قبله من مشى البدر إليه وعانقته الأسد .

(٢) يريد بهذا الفن أسلوب البناء على تناسى التشبيه . (٣) انظر ص ٩٩ .

(٤) كإثبات التظليل للشمس فى البيتين السابقين هناك .

(٥) كإثبات يلى الغلالة للقمر فى البيت السابق هناك ؛ فإنه من خواصه فلا

يصح التعجب منه .

(٦) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالاعتراف بالمشبه ذكره وعدم

ادعاء دخوله فى المشبه به ، والمقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء على تناسى
التشبيه .

(٧) قوله « فعز » بمعنى أحمله على العزاء وهو الصبر ، والعزاء الجميل : هو الذى

لا قلق معه ، يعنى أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة فى طلبها ، والشاهد فى أنه شبه
محبوبته بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها فى السماء الخ .

(٨) السحرة : هى السحَر الأعلى ويكون قبيل الصبح .

قلتُ فالليلُ كانُ آخرُ فَيَ وأدنى مسرَّة
فأجابت بحجَّة زادتُ - القلبَ حسرة
أنا شمسٌ وإنما تطلعُ الشمسُ بكَرَّة^(١)

فلأن يجوزُ مع جحدِه في الاستعارة أولى .

ومن هذا الباب ^(٢) قول الفرزدق :

أبي أحمدُ الغيثُ صَعَصَعَةُ الذي متى تُخلفِ الجوزاءَ والدُّلوُ يُمطرُ
أجارَ بناتِ الوائدينَ وَمَنْ يُجِرُ على الموتِ فاعلم أنه غيرُ مُخْفِرِ^(٣)
ادَّعى لأبيه اسمَ الغيثِ ادَّعاءً مَنْ سلَّمَ له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه
متناولٌ له من طريق التشبيه .

وكذا قول عدى بن الرُّقاع يصف حمارين وحشين :

يتعاوران من الغبار ملاءً ييضأً محكَّمةً هما نَسَجاها^(٤)

(١) البكرة : أول النهار وهي ملابسة للسحرة التي وعدهت بأنها تأتيه فيها ، ويجوز أن يكون مرادها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرةً وتنتهى إليه بكرة ، والشاهد في أنها شُبِّهت نفسها بالشمس ثم بنت على هذا ما يلائم المشبه به وهو أنها إنما تطلع بكرةً .

(٢) أى باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه .

(٣) هما لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق ، وأحمد الغيثين : أحقهما بالحمد ، وهو خبر (أبى) ، وصعصعة : بدل أو بيان وهو جد الفرزدق ، والجوزاء والدلو : برجان في السماء يكثر فيهما المطر ، وكان العرب إذا وافق سقوط النجم مطراً نسبوه إليه ، وقالوا : سَقِينَا بالنجم . وإذا أخطأهم المطر قالوا : أخطأنا النجم . والوائدون : اسم فاعل من الوأد وهو ما كانوا يفعلونه من قتل بناتهم خوف العار أو الفقر ، وكان صعصعة جد الفرزدق يشتريهن ويحميهن من الموت ، والمخفر : اسم فاعل من أخفر بمعنى أزال الخفارة وهي اسمٌ من خفره بمعنى منعه وحماه ، والشاهد في قوله « أبى أحمد الغيثين » لأنه يتضمن تشبيهه بالغيث ، وقد بنى على ذلك ما يلائم المشبه به وهو أنه يُمطر إذا أخلفت الجوزاء والدلو .

(٤) قوله « يتعاوران » يتناوبان .

تُطَوَّى إذا ورداً مكاناً مُحْزناً وإذا السنايك أسهلت نَشَراها^(١)

● المجاز المركب أو التمثيل :

وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل^(٢) للمبالغة في التشبيه^(٣) ؛ أى تشبيه إحدى صورتين متترعتين من أمرين أو أمورٍ بالأخرى^(٤) ، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغةً في التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه . كما كتب به الوليد بن يزيد^(٥) - لما بويع - إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة

(١) قوله « تطوى » بمعنى تلف فتزول عنهما ، والمكان المحزن : هو الذى تغلظ أرضه فلا يكون فيها غبار ، والسنايك جمع سنك : وهو طرف الحافر ، وقوله : « أسهلت » بمعنى وردت المكان السهل . والشاهد فى أنه شبه الغبار بالملاءة وهى ثوب معروف ، ثم بنى على ذلك ما يلائمها من النسج والطنى و النشر .

(٢) هذا يفيد أن المجاز المركب لا يكون فى المجاز المرسل كما يكون فى الاستعارة ، والحق أنه يكون فى المرسل أيضاً ؛ ومن ذلك استعمال الخبر فى الإنشاء وبالعكس ، والعلاقة فيهما الضدية أو اللزوم ، كقول الشاعر :
ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى ولا زال مُنهلاً بجرعائك القطرُ
وقول الآخر :

ومن ذا الذى تُرضى سجايه كُلُّها كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايه
(٣) يشير بهذا إلى اتحاد الغاية فى المجاز المفرد والمركب وهى المبالغة فى التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شيء .

(٤) إنما فسر التعريف بهذا للدفع ما يوهمه قوله فيه - تشبيه التمثيل - من أن طرفى المجاز المركب قد يكونان مفردين ؛ لأن تشبيه التمثيل ما كان وجهه متترعاً من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ؛ كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثرى لمن رأى كعنقود ملاحية حين نوراً
(البيت قيل لقيس بن الخطيم ، وقيل لابن قيس بن الأسلت الأوسى - انظر أسرار البلاغة « ريت » ص ٨٤ ، ٨٥) .

فإذا قيل فيه على طريق الاستعارة « رأيت عنقود ملاحية فى السماء » كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصله تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندى للتفريق فى هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٥) ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين أن هذا كان مع يزيد بن الوليد ، وهو الظاهر من تاريخ مروان معهما .

له : « أما بعد فإنني أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى^(١) فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام » شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى^(٢) ، وكما يقال لمن يعمل في غير معمل : « أراك تنفخ في غير فحم^(٣) وتخطّ على الماء » والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يُميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه : « ما زال يقتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد » والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكّه ، ويقتل الشعر في ذروته وغاربه^(٤) حتى يسكن ويستأنس . وهذا في المعنى نظير قولهم « فلان يقرّد فلاناً » أى يتلطف به فعل من ينزع القُراد^(٥) من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه . وكذا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٦) فإنه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجاً عن صفة المتابع له ، صار النهي عن التقدم متعلقاً باليدين ميلاً للنهي عن ترك الاتباع . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ

(١) لم يرضوا هنا أن تُجرى هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً أخرى ؛ لأنهم فهموا ذلك على أنه يقدم رجلاً إلى الأمام ويؤخر أخرى إلى الخلف ، وهذا لا يفعله المتردد ، فتقديرها عندهم أنه يقدم رجلاً تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندي تقدير فاسد لأن المتردد لا يفعله أيضاً ، والحق هو التقدير الأول الذي يفيد ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بذلك أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدمها معها .

(٢) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثلة .

(٣) أى تنفخ ناراً في غير فحم ، وهو بفتح الحاء : الجمر الطافئ .

(٤) الذروة : أعلى السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق ، وقد يطلق على

الذروة .

(٥) هو دُويبة كالمقل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٦) الحجرات : ١ .

القيامة ﴿١﴾ إذ المعنى - والله أعلم - أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منّا ، والجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ (٢) أى يخلق فيها صفة الطي حتى تُرى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل ؛ لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتي لا غناء للآخرى دونها ؛ فلا يهش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فهيأها لنيله ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

ألم تك في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا (٣)

أى كنت مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطني في المنزل الوضيع . وكذا إذا قلت للمخلوق : « الأمر بيدك » أردت المثل ؛ أى الأمر كالشيء يحصل في يدك فلا يمتنع عليك . وكذا قوله تعالى : ﴿ ولما سكّت عن موسى الغضب ﴾ (٤) قال الزمخشري : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قلّ لقومك كذا وألق الألواح وجرّ برأس أخيك إليك ، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء (٥) . ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ، ولأنه من قبيل شعب البلاغة (٦) ، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ﴿ ولما سكن عن موسى

(١) الزمر - ٦٧ .

(٢) الزمر - ٦٧ .

(٣) هو للمّاح بن ميادة . والاستفهام في قوله « ألم تك » للتقرير ، والشاهد في تشبيهه صورة إكرامه له بصورة من يجعل الشيء في يمينه لإكرامه ، وفي تشبيهه صورة إهانتة له بصورة من يجعل الشيء في شماله لإهانتة .

(٤) الأعراف : ١٥٤ .

(٥) فشبهت الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغر ، واستعيرت الحالة الثانية للأولى على طريق التمثيل . ويجوز إجراء الاستعارة في « سكّت » بتشبيهه سكوت الغضب بالسكوت ، أو في الغضب بتشبيهه بإنسان يسكت ، فتكون تصريحية تبعية أو مكنية .

(٦) يعنى أن حسن هذه الكلمة إنما أتى من كونها على طريق التمثيل ومن كون التمثيل من فروع البلاغة ؛ لأنه من الاستعارة وهى أبلغ من الحقيقة ، ويعنى بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

الغضب»^(١) لا تجدد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة^(٢) . وأما قولهم « اعتصمت بحبله » فقال الزمخشري أيضاً : يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساک المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكون الحبلُ استعارةً لعهد ، والاعتصامُ لوثوقه بالعهد أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه^(٣) . وكذا قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقّاها عرابةٌ باليمين^(٤)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقّي واليمين ، على حد قولهم : « تلقّيته بكلتا اليدين » ولهذا لا تصلح حيث يُقصدُ التجوُّز فيها وحدها ؛ فلا يقال « هو عظيم اليمين » بمعنى عظيم القدرة ، ولا « عرفتُ يمينك على هذا » بمعنى : عرفت قدرتك عليه .

ومثله قول الآخر :

هونٌ عليك ؛ فإنَّ الأمورَ بكفَّ الإله مقاديرُها^(٥)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أحدكم إذا تصدَّق بالتمرّة من الطَّيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل الله ذلك في كفه فيُرِيها كما يُرى أحدكم فُلُوهُ^(٦) حتى يبلغ بالتمرّة مثل أحد » والمعنى فيهما^(٧) على انتزاع الشبه من المجموع .

(١) الأعراف : ١٥٤ .

(٢) فالسبب في هذا هو خلوها من التمثيل ؛ لأن إسناده السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه .

(٣) بمعنى أن الاعتصام على أن الحبل استعارة للعهد : إما أن يكون استعارة للوثوق أو ترشيحاً لاستعارة الحبل للعهد ، وكل ذلك من المجاز المفرد لا المركب .

(٤) هو للشماخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور في قوله قبله :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

استعيرت هيئة تلقى الشيء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد .

(٥) هو للأعور الشنّي ، واسمه بشر بن منقذ ، والمقادير : جمع مقدار الأمر أي مبلغه ، أو تقديره بخير أو شر . والشاهد في قوله « بكف الإله مقاديرها » فإنه تمثيل أيضاً .

(٦) الفلو : الجحش والمهر قُطما أو بلغا السنّة ، وقد استعير في ذلك وضع

الشيء في الكف وتميمته لإجزاء الله الثواب للمتصدق .

(٧) أي في البيت والحديث .

وكلُّ هذا^(١) يسمَّى التمثيلَ على سبيل الاستعارة ، وقد يسمَّى التمثيلَ مطلقاً ، ومتى فشا استعماله كذلك^(٢) سُمِّيَ مثلاً . ولذلك لا تُغيَّر الأمثال^(٣) .

ومما يُبنى على التمثيل نحوُ قوله تعالى : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾^(٤) معناه لمن كان له قلب ناظرٌ فيما ينبغي أن يُنظر فيه ، وإعٍ لما يجب وعيه ، ولكن عُدلَ عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة^(٥) بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضرباً من التخيل ؛ وذلك أنه لما كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغي أن يُنظر فيه ، ولا يفهم ولا يعي ، جعل كأنه قد عَدِم القلب جملةً ، كما جعل مَنْ لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤدِّيَان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا ألاَّ يقال « فلان له قلب » إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ويعي ما يجب وعيه ، فكان في قوله تعالى : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ تخييلٌ أن مَنْ لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملةً ، بخلاف نحو قولنا « لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ، وإعٍ لما يجب

(١) أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

(٢) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال ، أى فشا استعماله باقياً على هيئته فى

حال مورده من غير تغيير .

(٣) لأنها تستعمل على سبيل الاستعارة ؛ فيجب أن يبقى لفظها على حاله من

غير تغيير ، وتُجرى الاستعارة فيها بأن تُشَبَّه صورة مضرِبها بصورة موردها ، ثم يستعار لفظها لها ، وعلى هذا يكون كل مثلٍ استعارةً ، ولا عكس ، ومن أمثالهم « أحشفاً وسوءَ كيلة؟! » يُضرب لمن يُظلم من جهتين ، وتشبه فيه هيئة مَنْ يُظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر حشفاً بتطفيفٍ فى الكيل فقال له « أحشفاً وسوءَ كيلة ! » ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٤) آية ٣٧ سورة ق .

(٥) بالاقتصار على قوله « لمن كان له قلب » دون وصفه بما ذكر .

وعيه»^(١) وفى نظم الآية فائدةٌ أخرى شريفة وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى . ونقل الشيخ عبد القاهر^(٢) عن بعض المفسرين أنه قال : « المراد بالقلب العقل » ، ثم شدد عليه النكير فى هذا التفسير ، وقال : « وإن كان المرجعُ فيما ذكرناه عند التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخيل أن مَنْ لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى بمنزلة من عَدِمَ قلبه جملة^(٣) ، كما تقول فى قول الرجل إذا قال : « قد غاب عني قلبى ، أو ليس يحضرني قلبى » إنه يريد أن يخيل إلى السامع أنه غاب عنه قلبه بجملته ، دون أن يريد الإخبار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال « لم أكن هناك » ، يريد غفلته عن الشيء ، فهو يضع كلامه على التخيل » .

هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق ؛ لأن المراد بالآية الحث على النظر والتفريع على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى : لمن كان له عقل مطلقاً ، فهو ظاهر الفساد^(٤) ، وإن أراد أن المعنى : لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر : فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عَرَى عن الفائدة ؛ لصحة وصف القلب بذلك^(٥) بدليل قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾^(٦) .

واعلم أن المثل السائر لمّا كان فيه غرابة ، استُعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة^(٧) . وهو فى القرآن كثير كقوله

(١) فهو لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يخيله ؛ لأن الفقد فيه ينصبُّ على القيد دون المقيد وهو القلب . (٢) ٤٠٩ - أسرار البلاغة ، ١٩٨ دلائل الإعجاز . (٣) يفيد نفى العقل وآلته فى الجسم وهى القلب الذى هو محل الإدراك فى عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفية وحده دون آلته ، والأول أبلغ . (٤) لأن المقصودين بذلك فى الآية ومن على شاكلتهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن فى ذلك ذكرى لهم .

(٥) والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يَجْزِ العدول عنه إلا لفائدة .

(٦) الأعراف - ١٧٩ .

(٧) استعارة لفظ (المثل) لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل ، =

تعالى : ﴿مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(١) أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى اسْتَوْقَدَ نَارًا . وكقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾^(٢) أى الوصف الذى له شأنٌ من العظمة والجلالة ، وكقوله تعالى : ﴿مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾^(٣) أى صفتهم وشأنهم الْمُتَعَجِّبُ منه^(٤) ، وكقوله تعالى : ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٥) أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها^(٦) ، إلى غير ذلك .

﴿فصل﴾

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يُضَمَّرُ التشبيه فى النفس فلا يُصَرِّحَ بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدلُّ عليه^(٧) بأن يُثَبَّتَ للمشبه أمرٌ مختصٌ بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابتٌ حسًّا أو عقلاً أُجْرِيَ عليه اسمُ ذلك = وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما فى الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل لمناسبة الكلام على استعارته فيما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلاماً فى الاستعارة .

(٢) النحل : ٦٠ .

(١) البقرة - ١٧ .

(٣) سورة الفتح - ٢٩ .

(٤) هو ما بيَّنه بقوله ﴿كَزُرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الآية .

(٥) سورة محمد ﷺ آية ١٥ .

(٦) أى فى قوله بعد هذا ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ الآية . هذا وكل كلام الخطيب فى هذا الفصل يدور على الاستعارة التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فسيذكرهما فى الفصل الآتى ، ولا شك أن ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختصُّ كُلُّهُ بالاستعارة التصريحية ؛ ولهذا جعل غيره تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها .

(٧) أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس ، ويمتاز هذا التشبيه على التشبيه الاصطلاحي بما تمتاز به الاستعارة من المبالغة فى التشبيه .

الأمر^(١) فيسمى التشبيه استعارةً بالكناية، أو مكنياً منها ، وإثبات ذلك الأمر
للمشبه استعارةً تخيلية^(٢) . والعلم^(٣) فى ذلك قول لبيد :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(٤)

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً
تجرى اليد عليه ؛ كإجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط على ملة
الإسلام فيما سبق^(٥) ، ولكن لما شَبَّه الشمالَ لتصريفها القرّة - على حكم

(١) يعنى بهذا ألا يكون فى المشبه أمرٌ حسى أو عقلى يُطْلَقُ عليه اسم الأمر
المختص بالمشبه به ، وهذا على مذهبه فى أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخيلية ، وسيأتى
بيان الخلاف فى ذلك .

(٢) على هذا تكون الاستعارتان عنده أمرين معنويين غير داخليين فى تعريف
المجاز ، وقد أفردهما فى هذا الفصل ليستوفى المعانى التى يُطْلَقُ عليها اسم الاستعارة
بطريق الاشتراك اللفظى ، والمذاهب فى الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب ،
السابق ، ومذهب القدماء ؛ وهو أن المكنية هى اسم المشبه به المستعار فى النفس
للمشبه ، وأن التخيلية هى إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومذهب السكاكى ؛ وهو أن
المكنية هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادّعاء ، وأن التخيلية هى اسم لازم المشبه به
المستعار للصورة الوهمية التى أُثبتت للمشبه . والمكنية على مذهب القدماء والسكاكى
داخلة فى المجاز اللغوى ، وكذلك التخيلية على مذهب السكاكى ، وقد قيل : إن
التخيلية على مذهب القدماء والخطيب داخلة فى المجاز العقلى ، ولا يخفى أن هذا إنما
يصح عند الخطيب إذا كان لازم المشبه به فعلاً أو ما فى معناه ، كقولك « نطقت الحال
بكذا » بخلاف نحو « أنشبت المنية أظفارها بفلان » . على أنه قد سبق أن المجاز العقلى
لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخيلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ؛ لأنها
إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعها تشبيه قطعاً . وإنى أرى أن هذا
الخلاف قليل الثمرة ؛ لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط ، وكلها
توجيهات محتملة .

(٣) أى المثال المشهور شهرة العلم .
(٤) هو للبيد بن ربيعة العامرى . والواو فى قوله « وعداة » واو رُبِّ ،
والقرة : البرد ، والشمال : أبرد الرياح ، يفتخر بأنه يمنع عادية البرد عن الناس
بإطعامهم وإيقاد النار لهم ؛ لأن ذلك وقت الجذب عندهم .

(٥) فى الاستعارة التحقيقية وهى التصريحية .

طبيعتها فى التصريف - بالإنسان المصرّف لما زمامه بيده؛ أثبت لها يداً على سبيل التخييل مبالغةً فى تشبيهها به ، وحُكِّم الزمام فى استعارته للقرة^(١) حُكِّم اليد فى استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زماماً ليكون أتمّ فى إثباتها مصرّفة ، كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ فى إثباتها مصرّفة ، فوقى المبالغة حقّها من الطرفين؛ فالضمير فى « أصبحت وزمامها » للقرة ، وهو قول الزمخشري ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة^(٢) . والأول أظهر .

واعلم أن الأمر المختصّ بالمشبه به المثبت للمشبه ، منه ما لا يكمل وجه الشبه فى المشبه به بدونه ، كما فى قول أبى ذؤيب الهذليّ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٣)

فإنه شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاعٍ وضرّارٍ ولا رقةٍ لمرحومٍ ، ولا بقاءً على ذى فضيلة ، فأنبت للمنمية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها ؛ تحقيقاً للمبالغة فى التشبيه^(٤) .

ومنه ما به يكون قوامُ وجه الشبه فى المشبه به ، كما فى قول الآخر :

وَلَمَّا نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحاً فِلْسَانُ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ^(٥)

(١) أى بعد تشبيهها بالمطية وحذف المشبه به؛ ففى هذا استعارة مكنية وتخييلية أيضاً . (٢) ٥٢ - أسرار البلاغة .

(٣) المنية : الموت ، وقوله « أنشبت » بمعنى علقت ، وقوله « ألفت » بمعنى وجدت ، والتميمة : خزعةٌ يجعلونها معاذةً من العين والجن ، وأبو ذؤيب : هو خويلد بن خالد .

(٤) إنما كانت الأظفار مكملّة لذلك لأنه يمكن حصوله بالأنياب ونحوها .

(٥) هو لمحمد بن عبد الله العتبي ، والبر : المعروف ، وقوله « فِلْسَانُ حَالِي الخ » قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره : فإن لسان مقالى لا يكون أقوى من لسان حالى ، وهذا لأن ضره أكثر من بره . وقبل البيت :

لَا تَحْسَبَنَّ بَشَاشَتِي لَكَ عَنْ رِضَا فَوْحُ فَضْلِكَ إِنِّي أَتَمَلُّ

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم فى الدلالة؛ فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الإنسان (١) .

وأما قول زهير :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُهُ وعُرِّىَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُهُ (٢)

فيحتمل أن يكون استعارةً تخيلية وأن يكون استعارةً تحقيقية ؛ أما التخيل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو أن المحبة من الجهل والغنى ، وأعرض عن معاودته؛ فتعطلت آلاته كأي أمرٍ وطئت النفس على تركه؛ فإنه تُهمل آلاته فتتعطل ، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالبحر والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها فتعطلت (٣) ، فأثبت له الأفراس والرواحل (٤) ؛ فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة لا بمعنى الفتاة (٥) . وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعى النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو الأسباب التى قلما تتأخذ فى اتباع الغنى إلا أوان الصبا (٦) .

(١) يجوز أن يكون قوله « لسان حالى » من إضافة المشبه به إلى المشبه ، فيكون تشبيهاً لا استعارة .

(٢) هو لزهير بن أبى سلمى ، وقوله « صحا » هو فى الأصل بمعنى الإفاقة من سكر ونحوه ، وهو مستعار هنا للسُّلُوّ وزوال العشق ، وقوله « أقصر » بمعنى امتنع عن قدرة . وفى العبارة قلبٌ والأصل : وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون فى العبارة قلب . والرواحل : جمع راحلة وهى القوى من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية . (٤) إثبات ذلك له استعارة تخيلية .

(٥) المراد بالفتوة : استيفاء اللذات ، وبالفتاة : زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق على إرادتها حسى ، وعلى إرادة دواعى النفوس عقلى ، والاستعارة عليهما تحقيقية تصريحية ؛ والصبا فيهما من الصباء بمعنى الفتاة لا من الصبوة ؛ لأنها هى الدواعى المرادة من الأفراس ، فلا تصح إضافته إليها ، وعلى هذا لا يكون فى ذلك استعارة مكنية ولا تخيلية ؛ لأنهما متلازمان عند الخطيب ، وقد جَوَزَ الزمخشري أن تكون قرينة المكنية استعارة =

❖ فصل ❖

اعتراضات على السكاكى :

اعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب - أعنى باب الحقيقة والمجاز والفصل الذى يليه - مخالف لمواضع مما ذكرنا ؛ فلا بد من التعرض لها وليبان ما فيها .

اعتراض عليه فى تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عرّف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل فى الوضع^(١) وقال : إنما ذكرتُ هذا القيد يعنى قوله « من غير تأويل فى الوضع » ليُحترز به عن الاستعارة ؛ ففى الاستعارة تُعدُّ الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصحّ القولين^(٢) ، ولا نسميها حقيقة بل نسميها مجازاً لغوياً ؛ لبناء دعوى المستعار موضوعاً للمستعار له على ضربٍ من التأويل كما مرَّ^(٣) .

ثم عرّف المجاز اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له

= تحقيقية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴾ ي ٢٧ - س البقرة - فقد شبه العهد بالحبل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقض وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة التحقيقية التصريحية ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحية فى (أفراس الصبا) .

هذا ولا يفوتنى فى هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر فى شرح بيت لبيد : « وغداة ريح . . . البيت » لم يذكر إلا أن إثبات اليد للشمال تخيل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإنى أرى أن تقدير التخيل فى ذلك ونحوه يغنى عن تقدير الاستعارة المكنية .

(١) ١٩١ - المفتاح .

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوى ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة فى غير معناها الحقيقى . وأما على القول بأنها مجاز عقلى فلفظها يكون مستعملاً فى معناه الحقيقى ؛ فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله « على أصحّ القولين » متعلقاً بقوله « ليحترز » أو باستعارة ، وكان الأولى ذكره بعدهما كما جاء فى التلخيص .

(٣) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها^(١) مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع^(٢) وقال : قولي « بالتحقيق » احترازٌ عن ألاّ تخرج الاستعارة^(٣) التي هي من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له على ما مرّ . وقوله « استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها » بمنزلة قولنا في تعريف المجاز « في اصطلاح به التخاطب » على ما مر ، وقوله « مع قرينة الخ » احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ؛ لأن لفظ الوضع وما يشتق منه إذا أُطلق لا يفهم منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق ؛ لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفي تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تميم الحد ، ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بدّ منه في تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ « الصلاة » إذا استعمالها المُخاطبُ بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها . لا يقال : قوله في تعريفها : « من غير تأويل في الوضع » أغنى عن هذا القيد ؛ فإن استعمال اللفظ فيما وُضع له في غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل في وضعه ؛ لأن التأويل^(٤) في الوضع يكون في الاستعارة على أحد القولين^(٥) دون سائر

(١) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها اللغوي ، فتكون مجازاً لغوياً ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها الشرعي فتكون مجازاً شرعياً ، وهكذا . (٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) هذه العبارة فاسدة ؛ لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها ؛ فقوله « بالتحقيق » قيد للإدخال لا للإخراج . ويجوز تقدير اللام أي لئلا تخرج فتصح العبارة .

(٤) تعليل للنفي في قوله « لا يقال الخ » .

(٥) هو القول بأنها مجاز لغوي ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول المشبه في

جنس المشبه به .

أقسام المجاز^(١) ، ولذلك قال : « وإنما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة » . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم^(٢) .

الاعتراض عليه في جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسّم المجاز إلى الاستعارة وغيرها^(٣) وعرف الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به^(٤) ، وقسّم الاستعارة إلى المصريح بها والمكنى عنها ، وعنى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به^(٥) وجعلها ثلاثة أضرب : تحقيقية ، وتخييلية ، ومحتملة للتحقيق والتخيل^(٦) . « وفسر التحقيق بما مرَّ^(٧) وعدّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . وفيه نظر ؛ لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركبًا كما سبق ، فكيف يكون قسمًا من المجاز المفرد ؟ ! ولو لم يقيد الاستعارة بالافراد وعرفها بالمجاز الذي أريد به ما شبه بمعناه الأصلي مبالغة في التشبيه دخل كلٌّ من التحقيقية والتمثيل في تعريف الاستعارة^(٨) .

الاعتراض عليه في تعريف التخييلية : ومنها أنه فسر التخييلية بما استعمل في صورة وهمية محضة قدرّت مُشابهةً لصورة محققة هي معناه ؛ كلفظ الأظفار في قول الهذلي^(٩) ؛ فإنه لما شبه المنية بالسبع في الأغتيال على

(١) فالذي يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز فلا بدّ حينئذ من ذلك القيد معه .

(٢) لأنه لم يذكر فيه قيد « على وجه يصح » وهو الذي يخرج به الغلط كما سبق في تعريف الخطيب للمجاز .

(٣) ١٩٤ - المفتاح .

(٤) ١٩٦ - المفتاح .

(٥) ١٩٨ - المفتاح .

(٦) يعنى بالمحتملة للتحقيق والتخيل نحو ما سبق من بيت زهير في ص ١٣٥ .

(٧) في ص ٩٠ .

(٨) أى ولم يعترض عليه بذلك ، وقد أجيب عن ذلك الاعتراض بأن القسم قد

يكون أعم من قسمه ، كما في تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

(٩) قد سبق في ص ١٣٤ .

ما تقدم ، أخذ الوهمُ فى تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس به . فاخترع للمنية صورةً مشابهة لصورة الأظفار المحققة ، فأطلق عليها اسمها^(١) . وفيه نظر ؛ لأن تفسير التخيلية بما ذكره بعيد؛ لما فيه من التعسف^(٢) ، وأيضاً فظاهر تفسير غيره لها بقولهم : « جعل الشيء للشيء كجعل لبيد^(٣) للشمال يداً » يخالفه لاقتضاء تفسيره أن يجعلُ للشمال صورة متوهمةً مثل صورة اليد لا أن يجعل لها يداً ؛ فإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة ، والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا فى المجاز العقلى الذى فيه المسندُ حقيقة لغوية^(٤) وأيضاً فيلزمه أن يقول بمثل ذلك - أعنى بإثبات صورة متوهمة - فى ترشيح الاستعارة^(٥) ؛ لأن كل واحد من التخيلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ، غير أن التعبير عن المشبه فى التخيلية بلفظه الموضوع له ، وفى الترشيح بغير لفظه^(٦) ، وهذا لا يفيد فرقاً ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضرباً من التخيلية ، وليس كذلك^(٧) . وأيضاً فتفسيره للتخيلية أعم من أن تكون تابعة

(١) ٢٠٠ - المفتاح .

(٢) باشماله على تلك الاعتبارات الكثيرة من تقدير الصورة الخيالية ، ثم تشبيهها بالمحققة ، ثم استعارة لفظها لها ، وهى اعتبارات لا دليل فى الكلام عليها ولا تدعو حاجة إليها .

(٣) انظر ص ١٣٣ . (٤) نحو « أنبت الربيع البقل » .

(٥) كما فى قولك « رأيت أسداً يحارب له لبد » فهو يعنى ترشيح الاستعارة التصريحية .

(٦) هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية .

(٧) لأن التخيل خاص بالمكنية ، والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن الترشيح للمبالغة فى الاستعارة والتخيل لحصولها ، ولا شك أن ما يقوى الشيء الحاصل يجدر به أن يسمى ترشيحاً ، وأن ما لا تُعلم الاستعارة إلا به يجدر به أن يسمى استعارة . وقد قيل : إن الترشيح يأتى فى المكنية أيضاً ، =

للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهدلى^(١) أو غير تابعة بأن يُسَخِّل ابتداءً صورةً وهميةً مشابهةً لصورةٍ محققةٍ فيستعار لها اسم الصورة المحققة ، والثانية بعيدةً جداً ، ويدل على إرادته دخول الثانية فى تفسير التخيلية أنه قال^(٢) : حُسْنُهَا بحسب حُسْنِ المكنى عنها متى كانت تابعة لها ، كما فى قولك « فلان بين أنياب المنية ومخالبها » وقلّما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استهجنّت فى قول الطائي :

لا تُسَقِنِي ماءَ الملامِ فَإِنِّي صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي^(٣)

فإن قيل : لِمَ لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها ؟ قلنا : غير المكنى عنها هى المصرّح بها ؛ فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة ، وهو من أحسن وجوه البلاغة ، فكيف يصح استهجانها ؟ وأما قول أبى تمام فليس له فيه دليل ؛ لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملام ، كما أن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخيلية فى قوله تابعةً للمكنى عنها ، أو بالماء نفسه^(٤) لأن اللوم قد يُسَكِّن حرارة الغرام كما أن الماء يسكن

= كقولك : « أظفار المنية نشبت بفلان فافتروسته » فالافتراس ترشيح فى هذه الاستعارة وهى مكنية لا تصريحية .

(١) قد سبق فى ص ١٣٤ .

(٢) ٢٠٦ - المفتاح .

(٣) هو لأبى تمام ، واللام : اللوم والعتاب ، والصب : العاشق وذو الولع الشديد . وقوله « استعذبت » من استعذب الشيء بمعنى وجده عذبةً ، والشاهد فى قوله « ماء الملام » لأنه تخيلية غير تابعة للمكنية ، وسيوجه الخطيب بعد . وقد حكى أن رجلاً جاء أبا تمام بقصعة وقال : أعطنى قليلاً من ماء الملام . فقال أبو تمام : لا أعطيكه حتى تأتينى بريشة من جناح الذل . فأفحم الرجل . والحق أنه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام ؛ لأن الطائر إذا وهن بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وبهذا حسن جعل الجناح للذل لما بينهما من المناسبة .

(٤) معطوف على قوله : بظرف الشراب .

غليل الأوام ، فيكون تشبيهاً على حد « لُجَيْن الماء » فيما مرَّ^(١) لا استعارةً .
والاستهجان على الوجهين^(٢) لأنه كان ينبغي له أن يشبهه بظرف شراب مكروه
أو بشراب مكروه^(٣) ، ولهذا لم يستهجن نحو قولهم : أغلظت لفلان القول ،
وجرّعته منه كأساً مرّةً ، أو سقيته أمرّاً من العلقم^(٤) .

الاعتراض عليه في تعريف المكنية : ومنها أنه عني بالاستعارة المكنى عنها
أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه^(٥) على أن المراد بالمنية في قول
الهُذليّ^(٦) السَّبعُ بادعاء السَّبعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع بقرينة
إضافة الأظفار إليها^(٧) . وفيه نظر ؛ للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو
الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق ،
وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك ، وأما ما
ذكره في تفسير قوله : « من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسمٌ للسبع ، مرادفٌ
لفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهو أن ندخل المنية في جنس السبع للمبالغة في
التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع
اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتهماً لنا بهذا الطريق دعوى السبعية
للمنية مع التصريح^(٨) بلفظ المنية » فلا يفيد ؛ لأن ذلك لا يقتضى كون اسم

(١) انظر ص ٦٧ .

(٢) يعنى أن قول أبى تمام مستهجن على هذين الوجهين أيضاً ؛ وهما أن يكون
تخييلية تابعة للمكنية ، وأن يكون تشبيهاً لا استعارة .

(٣) أى لا بظرف شراب مطلقاً ، كما في الوجه الأول ، ولا بالماء كما في
الوجه الثانى ؛ لأن الملام مكروه فيجب في استعارة شيء له أو تشبيهه به أن يكون
مكروهاً ؛ لوجوب المناسبة بين الطرفين في الاستعارة والتشبيه .

(٤) لأنه شبه فيه القول المكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .

(٥) فى هذه العبارة تساهل ؛ لأن المكنية عند السكاكى هى لفظ المشبه لا كونه هو

المذكور من طرفي التشبيه .

(٦) قد سبق فى ص ١٣٤ . (٧) ٢٠١ - المفتاح .

(٨) يعنى أن التصريح بلفظها يناقضى دعوى دخولها فى جنس السبع ؛ لأن
الذى يناسبه عدم التصريح بها وإطلاق لفظ السبع عليها ، ولكن بعد تخييل تلك
المرادفة تزول تلك المنافة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز^(١) وكأنه - لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه^(٢) وعلى أحد نوعى المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصيل^(٣) ويقولون : الاستعارة تنافى ذكر طرفى التشبيه - ظن أن مرادهم بلفظ «الاستعارة» عند الإطلاق وفى قولهم «استعارة بالكناية» معنى واحد^(٤) ، فبنى على ذلك ما تقدم^(٥) .

الاعتراض عليه فى رد التبعية إلى المكنية : ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التَّبعية : « هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب فى هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا - فى قولهم « نطقت الحال بكذا » - الحال التى ذكروها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح^(٦) استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراه فى قوله :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا^(٧)

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ، ويجعلون إثبات الأظفار لها قرينة الاستعارة . وهكذا لو جعلوا البخل^(٨) استعارة بالكناية عن حَيٍّ أُبْلِطَتْ حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة

(١) لأن ادعاء السبعية لها لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء فى كل شئ ، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملاً فى حقيقته مع ذلك الادعاء .
(٢) هو الاستعارة المكنية .
(٣) هو الاستعارة النصريحية .
(٤) هو اللفظ المستعمل فى غير معناه الأصيل لعلاقة التشبيه .
(٥) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء دخوله فيه .

(٦) هى الاستعارة التصريحية التبعية فى - نطقت .

(٧) قد سبق هذا البيت فى ص ١٣٤ . (٨) أى فى البيت السابق فى ص ١١٨

الاستعارة ، ولو جعلوا أيضاً اللّٰهذمّيات^(١) استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ (القرى) إليها قرينة الاستعارة - لكان أقرب إلى الضبط^(٢) . هذا لفظه^(٣) ، وفيه نظر ؛ لأن التبعية التى جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية ، كنطقت فى قولنا : «نطقت الحال بكذا» لا يجوز أن يقدرها حقيقةً حيثئذ ؛ لأنه لو قدرها حقيقةً لم تكن استعارة تخيلية ؛ لأن الاستعارة التخيلية عنده مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخيلية ، واللازم باطل بالاتفاق^(٤) ؛ فيتعين أن يقدرها مجازاً ، وإذا قدرها مجازاً لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر ردُّ التركيب فى التبعية^(٥) إلى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها^(٦) وتصير التبعية حقيقةً واستعارة تخيلية ؛ لما سبق أن التخيلية على ما فسرناها^(٧) حقيقةً لا مجاز .

(١) أى فى البيت السابق فى ص ١١٩ .

(٢) يعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة .

(٣) ٢٠٤ - المفتاح .

(٤) دعوى الاتفاق فى هذا غير صحيحة ؛ لأن الزمخشري كما سبق يجوز أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، والسكاكى أيضاً لم يرد عنه نص قاطع فى استلزام المكنية للتخيلية ، بل اضطرب فى هذا كلامه هنا وفى المجاز العقلى .

(٥) يعنى بالتبعية: التصريحية التبعية فى نحو (نطقت) من قولهم «نطقت الحال بكذا» ، ويعنى بالتركيب فيها: تركيبها مع قرينتها وهى الحال ، ويعنى برَدُّ ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية: أن يُجعل استعارة بالكناية وقرينة لها .

(٦) من أنها التشبيه المضمّر فى النفس .

(٧) من أنها إثباتٌ لازم المشبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تعقيده أن السكاكى لو كان يرى فى المكنية والتخيلية ما يراه الخطيب لأمكنه ردُّ التبعية إليهما ولم يرد عليه ذلك الاعتراض ؛ لأن التخيلية على قول الخطيب حقيقةً لا مجاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى المكنية إنما يكمن فيما قرينتها لفظية لا حالية كما فى قوله تعالى:

﴿لعلكم تتقون﴾ آية ٢١ سورة البقرة .

فصل

شروط حسن الاستعارة : وإذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخيلية ، والاستعارة بالكناية ، والتمثيل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها شروطاً إن لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تكتسب قبحاً . وهى فى كل من التحقيقية والتمثيل^(١) : رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه^(٢) ، والأشتم من جهة اللفظ رائحته^(٣) ، ولذلك يوصى فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه أو عرفاً أو غيره^(٤) وإلا صار تعميةً وإغازاً

(١) يريد بالتحقيقية : الاستعارة التصريحية ، وبالتمثيل : المجاز المركب على ما سبق له .

(٢) هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمول للطرفين وإفياً بإفادة ما علق عليه من الغرض ونحو ذلك ، وإنما اعتبر فى ذلك ظهور الشمول لأن أصله شرط فى صحة التشبيه لا فى حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذاث هدمٍ عارٍ نواشرها تُصمّت بالماء تولباً جدعا
سمى الصبى تولباً وهو ولد الحمار ، فهى استعارة بعيدة فاحشة وجدعا : سبى الغداء .

(٣) هذا يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، فلا تبطل به الاستعارة ولكنها تكون قبيحة ، كما فى قول الشاعر :

لا تعجبوا من يلى غلالته قد زرّ أزواره على القمر

فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، وإنما قيد شم ذلك بأن يكون من جهة اللفظ لأن الاستعارة يشم منها ذلك فى المعنى قطعاً ، ويجب أن يراعى فى الاستعارة مناسبتها لحال الزمان والمكان ، ولهذا يقول العرب إذا فسد ما بين الصديقين : « يس الثرى ما بين الصديقين » ويقول غيرهم : « جمد الثلج بين الصديقين » فيراعى كل منهما حال مكانهما .

(٤) جلاؤه بنفسه كما فى تشبيه القد بالغصن فى الاعتدال ؛ لأنه يدرك بالحس ، وجلاؤه بالعرف كما فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ؛ لأن الأسد معروف بالشجاعة وإنما كان هذا الشرط مترتباً على ما قبله لأنه إذا لم تشم رائحة التشبيه من جهة اللفظ كان فى ذلك نوع خفاء فيه ، فلا يصح أن يضم إليه خفاء وجه الشبه ، ولكن =

لا استعارة وتمثيلاً ، كما إذا قيل « رأيت أسداً » وأريدَ إنساناً أبخر ، وكما إذا قيل « رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة » وأريد الناس^(١) ، أو قيل « رأيت عوداً مستقيماً أو أن الغرس » وأريد إنساناً مؤدباً في صباه ، وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا^(٢) أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعيّنت الاستعارة^(٣) ، وذلك كالنور إذا شبه العلم به ، والظلمة إذا شبهت الشبهة بها ، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم المسألة : « حصل في قلبي نور » ولا يقول « كأن نوراً حصل في قلبي »^(٤) ويقول لمن أوقعه في شبهة : « أوقعني في ظلمة » ولا يقول « كأنك أوقعني في ظلمة » .

وكذا المكنى عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه^(٥) وأما التخيلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها ، لما بينا أنها لا تكون إلا تابعة لها .

= استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتذال ، لما سبق من تفضيل الشبه الغريب على المبتذل .

(١) هذا المثال مأخوذ من حديث سبق في ص ٥٨ ، ولكن الخفاء فيه من جهة عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

(٢) أي المذكور من أنه إذا خفى الشبه لم تحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما على وجه التقابل ، وقيل أيضاً : إن هذا كاستثناء من الشرط الأول لعدم حسن التشبيه فيما سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

(٣) يعني بتعيينها استحسانها ؛ لأن التشبيه يجوز في هذا مع حسن الاستعارة فيه .
(٤) مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذي لا يقبل أن يقال « حصل في قلبي علم كالنور » وكذا ما بعده .

(٥) مما استهجن من أجل هذا قول أبي نواس :
يح صوت المال عما منك يشكو ويصبح
لأنه لا مناسبة بين طرفي الاستعارة ، وهو يريد أن المال يتظلم من إهانتة له بالتمزيق والعطاء ، فالعنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول في ذلك قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاماً
وإنما لم يشترط في المكنية ألا يشم رائحة التشبيه لفظاً لأن من لوازمها ذكر لازم المشبه به فيشم به رائحة التشبيه لفظاً .

فصل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما توصفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى ؛ توصف به أيضاً لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ ؛ أما الحذف فكقوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(١) أى أهل القرية^(٢) ؛ فإعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(٣) أى أمرُ ربك^(٤) وكذا قولهم « بنو فلان يطوهم الطريق » أى أهل الطريق .

وأما الزيادة فكقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥) على القول بزيادة الكاف^(٦) أى ليس مثله شيء ، فإعراب (مثله) فى الأصل هو النصب ، فزيدت الكاف ، فصار جرّاً .

فإن كان الحذفُ أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب - كما فى قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٧) إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذف « ذوى » لدلالة ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ﴾ عليه . وحذف « مثل » لما دل عليه عطفه على قوله ﴿كَمِثْلِ الذِّى اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ ؛ إذ لا يخفى أن التشبيه

(١) آية ٨٢ سورة يوسف .

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازاً عن أهلها ؛ كان مجاز مرسلأً من إطلاق اسم المحل على الحال .

(٣) آية ٢٢ سورة الفجر .

(٤) لأن المجيء مستحيل عليه تعالى بخلاف أمره ؛ لأنه يجوز إسناد المجيء إلى الأمر على سبيل المجاز العقلى ، بل قيل : إنه صار فى مثل هذا حقيقة عرفية ؛ كقولهم - جاء أمر السلطان ، ونحوه .

(٥) آية ١١ سورة الشورى .

(٦) قيل : إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يكتنى به عما يضاف إليه ؛ كقولهم : مثلك لا ييخل .

(٧) آية ١٩ سورة البقرة .

ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب^(١) ، وكقوله : ﴿فبما
رحمة من الله لنت لهم﴾^(٢) وقوله : ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾^(٣) فلا
توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة :

وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف
الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة^(٤) .



(١) وإنما هو بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .
(٢) آية ١٥٩ سورة آل عمران . وقد قسم الغزالي المجاز إلى أربعة عشر قسمًا ،
وجعل هذا من قسم الزيادة فى الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز
فيه ، وبأن « ما » ليست بزائدة ؛ لأنها لتفخيم الأمر ، وهى محض الفصاحة .
(٣) آية ٢٩ سورة الحديد .

(٤) ٤٥٠ - ٤٦٣ : أسرار البلاغة ؛ فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها
الأصلى إلى غيره ، وقال السكاكى : رأى أن يقال هو مشبه للمجاز وملحق به
لاشتراكهما فى التعدى عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع فى
الكلام .

تمرينات على المجاز المرسل والاستعارة

تمرين - ١

- (١) بين ما فيه مجاز مرسل ، وما فيه استعارة من هذين البيتين :
- من يزرع الشرَّ يحصد في عواقبه ندامةً ولِحَصْدِ الزرعِ إِبَّانُ
ولم يبقَ سوى العُـدُوْا نِ دَنَّا هُمْ كَمَا دَانُوا
- (٢) ما نوع الاستعارة وما قرينتها في قول الشاعر :
- إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ كَلَاكِلُهُ أَتَاخُ بَاخَرِينَا

تمرين - ٢

- (١) وردت « دما » فيما يأتي مجازاً مرسلًا واستعارة ؛ فبينهما :
- فَتَى كَلَّمَا فَاضَتْ عَيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا ضَحَكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بَضْرَةً بَعِيدَةً مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
- (٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية في قول الشاعر :
- إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

تمرين - ٣

- (١) كيف جرت الاستعارة في العَلَمِ من قول الشاعر :
- لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّهُ حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْمَحْبِينِ وَالْعَدَا
فَلِمَ لَا نَرَى الْأَهْرَامَ يَا نَيْلُ مَيْدَا وَفِرْعَوْنَ عَنْ وَاذِيكَ مَرْتَحِلًا غَدَا
- (٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ آية ٧٢ س الأحزاب .

تمرين - ٤

- بين الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة في الآيات الآتية :
- (١) رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلد وهو للقلب جارح
(٢) إِنَّ التَّبَاعِدَ لَا يَضُرُّ إِذَا تَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ
(٣) إِذَا انْتَضَلَ الْقَوْلُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيْيًا وَلَا رَبًّا عَلَى مَنْ يَقَاعِدُ

تمرين - ٥

- (١) لماذا قبحت الاستعارة في قول الشاعر :
- بلوناك أَمَّا كَعْبُ عَرَضِكَ فِي الْعُلَا فَعَالٍ وَأَمَّا خَدُّ مَالِكِ أَسْفَلِ
- (٢) لماذا كان المجاز المرسل في هذا البيت غير مفيد :
- فبتنا جلوساً لدى مهرنا نترع من شفتيه الصفارا
- (٣) لماذا استحسنت الاستعارة التخيلية في قوله تعالى : ﴿وَخَفَضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ﴾ آية ٢٤ سورة الإسراء ، واستهجنتم في قول أبي تمام :
- لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنَّنِي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذْتُ مَاءَ بَكَائِي

تمرين - ٦

- (١) وازن بين الاستعارتين في قول الشاعر :
- سألتُ عليه شعابُ الحى حين دعا أنصـاره بوجوه كالدنانير
- وقول الآخر :
- أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسألتُ بأعناق المطى الأباطح
- (٢) ما هي علاقة المجاز المرسل في قول الشاعر :
- فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ فسمعاً لأمر أمير العرب
- (٣) لماذا عيب على أبي تمام قوله :
- يا دهرُ قومٍ من أخذعيك فقد أضججتَ هذا الأنام من خرقك



الباب الثالث: القول فى الكناية

تعريف الكناية : الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حيث^(١) كقولك « فلان طويل النجاد » أى طويل القامة ، و « فلانة نؤوم الضحى » أى مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها فى إصلاح المهمات ؛ وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتاولات وتدبير إصلاحها ؛ فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك . ولا يتمتع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل^(٢) ؛ فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ؛ أى من جهة إرادة المعنى^(٣) مع إرادة لازمه ؛ فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحو قولك « فى الحمام أسد » أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ؛ لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشيء معاند^(٤) لذلك الشيء^(٤) ، وفرق السكاكى وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً^(٥) وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى

(١) لازم المعنى : وهو المقصود يقال له معنى كنائى ، وملزومه : يقال له معنى حقيقى ، وجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع من إرادته ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ آية ١١ سورة الشورى على القول بأن الكاف أصلية وأنه يفيد نفي المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه ؛ لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيب فى هذا على المشهور من أن الكناية قسم آخر غير الحقيقة والمجاز ، وقيل : إن الكناية لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينتقل منه إلى المعنى المجازى ، وعلى هذا تكون الكناية قسماً من الحقيقة ، وقيل : إن الكناية تارة يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقيقى عليه فتكون مجازاً ، وتارة يراد بها المعنى الحقيقى ليدل به على المعنى المجازى فتكون حقيقة ، والخلاف فى مثل هذا لا طائل تحته .

(٥) ٢١٣ - المفتاح .

الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم . وفيه نظر ؛ لأن
اللازم ما لم يكن ملزومًا يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم^(١) فيكون الانتقال حيثئذ
من الملزوم إلى اللازم . ولو قيل : الزوم من الطرفين من خواص الكناية دون
المجاز ، أو شرط لها دونه ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن انجبه منع الاختصاص
والاشتراط (٢) .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إمّا غير صفة
ولا نسبة ، أو صفة ، أو نسبة . والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم
والشجاعة وأمثالها لا النعت .

١ - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة :

الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة^(٣) : فمنها ما هو معنى واحد
، كقولنا « المضيف » كنايةً عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب :
الضاريين بكلّ أبيضٍ مخدّم والطاعنين مجامع الأضغان^(٤)

(١) لأن اللازم قد يكون أعمّ من الملزوم ؛ كلزوم الحيوان للإنسان ، ولا دلالة للعام
على الخاص .

(٢) أى منع اختصاص الكناية بكون الزوم فيها من الطرفين ، واشتراط ذلك فيها
دون المجاز ؛ لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشترط فيه ؛ لأن لازم المعنى الحقيقى فيهما
قد يكون أعمّ منه ، وقد قيل : إنه لا خلاف بين الخطيب والسكاكى إلا فى التسمية ؛
لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا « كثير الرماد » ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم
ولكن السكاكى يسمى كثرة الرماد لازماً ، والخطيب يسميه ملزومًا ، وإنى أرى أن مثل
هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به فى علم البيان .

هذا ومن أغراض الكناية أنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وأنها تبرز
المعقول فى صورة المحسوس ، وأنه يُحترز بها عمّا لا يليق التعبير به ، إلى غير هذا من
أغراضها .

(٣) أى ولا نسبة صفة لموصوف بأن يكون المطلوب بها موصوفًا ، ولو « قال
الأولى المطلوب بها الموصوف » لكان أحسن .

(٤) هو لعمر بن معديكرب ، ورواية الموازنة « والضاريين » ، والمخدّم : القاطع =

ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله الذئب :

فأتبعْتُها أخرى فأضَلَّتْ نَصْلَهَا بِـ بحيث يكون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحَقْدُ^(١)

فقلوله « بحيث يكون اللب والرعب والحقد » ثلاث كنايات لا كناية واحدة ؛ لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود^(٢) .

ومنها ما هو مجموعُ معانٍ ، كقولنا كناية عن الإنسان : « حَىَّ مستوى القامة عريض الأظفار »^(٣) .

وشرطُ كل واحدة منهما^(٤) أن تكون مختصةً بالمكنى عنه لا تتعدها ، ليحصل الانتقال منها إليه ، وجعل السكاكى الأولى قريبة والثانية بعيدة^(٥) . وفيه نظر^(٦) .

= من السيوف ، والأضغان : جمع ضِغْن وهو الحقد ، ومجامع الأضغان : القلوب . وبهذا تكون كناية عن موصوف ، وقد قيل : إن المجامع جمع مجمع وهو اسم مكان مشتق من الجمع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيقة لا كناية . وأجيب بأن هذا اللفظ لم يُرد منه الذات الموصوفة بالصفة كسائر المشتقات ، وإنما أريد منه الذات فقط على سبيل الكناية ؛ لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(١) قوله « أضللت » بمعنى غيبت . والنصل : حديدة الرمح والسهم .

(٢) لأن تقدير الكلام بحيث يكون اللب ، وبحيث يكون الرعب ، وبحيث يكون الحقد ، والمكنى عنه واحد فيها كلها وهو القلب ، وهو قريب من قول عمرو : « والطاعنين مجامع الأضغان » ولكن قول عمرو فى غاية الجودة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

(٣) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا الرغبة فى تكثير الأقسام .

(٤) أى من هاتين الكنيتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فيهما بخصوصهما لوجوب ذلك فى كل كناية ؛ لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، على أن هذا الشرط مستغنى عنه بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم لأن الملزوم لا بد أن يكون مختصاً باللازم المكنى عنه .

(٥) ٢١٤ - المفتاح .

(٦) لأن دلالة الوصف الواحد على الشيء ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس ؛ لأن التفصيل أوضح من الإجمال . =

٢ - المطلوب بها صفة : الثانية المطلوب بها صفة^(١) ؛ وهى ضربان :
 قريبة وبعيدة . القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهى إمّا
 واضحة ، كقولهم كناية عن طويل القامة : « طويلٌ نجادٌ ، وطويلٌ النجاد »
 والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجةٌ ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما
 لتضمنُ الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأوّل^(٢) . ومنها قول الحماسى :

أبتِ الروادفُ والثدى لقمصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهورها^(٣)

وإمّا خفية ؛ كقولهم كناية عن الأبله : « عريض القفا » فإن عرض القفا
 وعظم الرأس إذا أفرط - فيما يقال - دليل الغباوة^(٤) ؛ ألا ترى إلى قول طرفه
 ابن العبد :

= ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴾ آية ١٣
 سورة القمر- وقول الشاعر :

تقول التى من بينها خفّ محملى عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ

(١) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة ، فتكون الصفة نفسها هى
 المطلوبة من صفة أخرى يكنى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها .
 (٢) لأن « نجاهه » فاعل فيه ، أما فاعل « طويل » فى الثانى فهو ضمير
 الموصوف ، ولهذا تقول « الزيدان طويلان النجاد » ، والزيدون طوال النجاد ، وهند طويلة
 النجاد « بالثنية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع
 تصريح بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحاً خالصاً للقطع بأن الصفة فى المعنى
 صفة للمضاف إليه وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع
 خلو الصفة عن معمول مرفوع بها ، وإنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ؛
 لأنه لا يصح أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية .

(٣) الروادف : جمع رادفة وهى الكفل والعجز . والثدى : جمع ثدى ، وإباء
 الروادف لقمصها مس الظهور : كناية عن كبرها وضمور خصرها ، وكذا إباء الثدى لها
 مس البطون .

(٤) خفاء الكناية فى ذلك بالنظر إلى أول سماعها ، ولا يؤثر فى ذلك ظهورها
 بعده ، ومن ذلك قول بعضهم فى الكناية عن العذرة :
 أراد أبوك أملك يوم رقتُ فلم يوجد لأملك بنتُ سعد

أنا الرجل الضربُ الذي تعرفونهُ خشاشٌ كُرأس الحية المتوقِّدُ^(١)
 والبعيدة: ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كنايةً عن
 الأبله : « عريض الوسادة » فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ،
 ومنه إلى المقصود ، وقد جعله السكاكي من القريضة على أنه كناية عن عرض
 القفا ، وفيه نظر^(٢) . وكقولهم « كثير الرماد » كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل
 من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر ، ومنها إلى كثرة الطباخ ،
 ومنها إلى كثرة الأكل ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى المقصود .
 وكقوله :

وما يكُ في من عيب فإني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل^(٣)

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو
 بمرصدٍ لأن يعسّ دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبعياً له إلى
 استمرار تأديبه ؛ لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك
 إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ، ومن ذلك
 إلى كونه مقصد أدانٍ وأقاصٍ ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قري
 الأضياف . وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة
 الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما التليات ، ومنها إلى
 صرفها إلى الطباخ ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نُصيب :
 لعبد العزيز على قومهِ وغيرهم مننٌ ظاهره^(٤)

(١) الضرب : الخفيف اللحم ، والخشاش : الصغير الرأس وهو كناية عن ذكائه ،
 والشاهد في جعله ذلك دليل الذكاء ، فيكون مقابله وهو عرض القفا وعظم الرأس دليل
 الغباوة .

(٢) لأنه لا يقصد من ذلك الكناية عن عرض القفا ، وإنما يقصد منه الكناية عن
 البله .

(٣) الفصيل : ولد الناقة . وهزاله بحرمانه من لبنها بنحرها أو بإيثار الضيفان
 به ، يعني أنه لا عيب فيه إلا ذلك ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) الأبيات لنصيب بن رباح في مدح عبد العزيز بن مروان ، والمنن : جمع منة
 وهي النعمة .

فبَابُكْ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ عَامِرَةٌ^(١)
وَكَلْبُكَ آنَسٌ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالْابْنَةِ الزَّائِرَةِ

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر، إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً ، ومنه إلى لزومهم سُدَّتُهُ ، ومنه إلى تسنى مباغيهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام ، وهو المقصود .

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مَقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ^(٢)
ومنه قوله :

لَا أُمْتَعُ الْعَوْدَ بِالْفَصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ^(٣)

فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبْقَى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبْقَى العود إبقاءً على فصالها^(٤) ، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .

ومن لطيف هذا القسم^(٥) قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾^(٦) أى

(١) المأهولة : الدار التي فيها أهلها ، وكذلك العامرة ؛ فهي صفة مؤكدة لما قبلها ، وإنما خصت الابنة الزائرة لأن عطف الأم عليه أكثر .

(٢) هو لإبراهيم بن هرمة . ورواية البيان والتبيين : « تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه » . والضمير فى « يكاد » للكلب ، والأعجم : الذى لا يتكلم ، والشاهد فى كنياته بحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من المبالغة فى محاولة الكلب أن يكلمه .

(٣) هو لإبراهيم بن هرمة أيضاً ، والعود : جمع عائد وهى الناقصة الحديثة التاج ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة .

(٤) الفرق بين التقديرين أن النحر فى الأول للفصال وفى الثانى للنوق .

(٥) يعنى قسم الكناية المطلوب بها صفة .

ووجه اللطف فيما سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيداً أم قريباً .

(٦) الأعراف - ١٤٩ .

ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض يده غمًا ، فتصير يده مسقوطًا فيها. لأن فاه قد وقع فيها .

وكذا قول أبي الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكت من ألم الشوق ق إليها والشوق حيث النحول^(١)

وكذا قوله :

إلى كم تردُّ الرُّسلَ عما أتوا له كأنهم فيمما وهبت ملام^(٢)

فإنَّ أوله كناية عن الشجاعة ، وآخره كناية عن السماحة .

وكذا قول أبي تمام :

فإن أنا لم يحمدك عنى صاغراً عدوك فاعلم أننى غير حامد^(٣)

يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده ، أى إن لم أكن أجيد القول فى مدحك حتى يدعو حسنه عدوك أن يحفظه ويلهج به صاغراً؛ فلا تعدنى حامداً لك بما أقول فيك ، ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكنتى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول فى مدحه^(٤) .

(١) الضمير فى - تشتكى - لمحبيته ، والنحولة : دقة الجسم من مرض ونحوه . يقول : إنها تشتكى من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنها كاذبة فى شكواها لأنه لا نحول فيها . فقوله « والشوق حيث النحول » كناية عن كذبها .

(٢) هو لأبى الطيب أيضاً فى مدح سيف الدولة ، والمراد بالرسل رسل ملك الروم فى طلب الصلح ، يقول : إنه يردهم كما يرد الملام عنه بما يهب من ماله ، وقد انتقل من ردهم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتداده بهم إلى شجاعته ، وقد مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بالسماحة، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع ، وقوله « فيما وهبت ملام » متعلق بلام .

(٣) الصاغر : اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

(٤) قد كنى قبل هذا بحمده له عن حفظه لمدحه له ؛ فالكناية فيه بواسطة .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيفُ العصا بادى العروق ترى لهُ عليها إذا ما أجذب النَّاسُ إصْبعا^(١)

وقول الآخر :

صُلْبُ العصا بالضرب قد دَمَّاهَا^(٢)

أى جعلها كالدمى فى الحسن . والغرض^(٣) من قول الأول « ضعيف العصا » وقول الثانى « صلب العصا » وهما وإن كانا فى الظاهر متضادين فإنهما كنايةتان عن شيء واحد ، وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لأن من العصا ، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها عارف بسياستها فى الرعى ، يزجرها عن المراعى التى لا تُحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد ، وأنها لما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزمته تنساق فى الجهة التى يريدّها ،

(١) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :

بَنَى وَاَبَشَ إِنَّا هَوَيْنَا جِوَارِكُمْ
وَمَا جَمَعْتَنَا نِيَّةً قَبْلَهَا مَعًا

وبادى العروق : ظاهرها لقلّة اللحم فى جسمه ، والمراد بالإصبع الأثر الحسن

على سبيل المجاز المرسل .

(٢) هو من قول أبى العلاء بن سليمان فى الإبل :

صُلْبُ العصا بالضرب قد دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا

إذا أَرَادَتْ رَشْدًا أَغْوَاهَا مَحَالُهُ مِنْ رَقِهِ إِيَّاهَا

والضرب يطلق على الضرب بالعصا وعلى السير فى الأرض ، وقوله « أفناها »

بمعنى أهلكها من شدته عليها ، والرشد : نبت تأكله الإبل ، وقوله « أغواها » بمعنى أطعمها الغوى وهو نبات آخر تأكله ، ومحاله : فاعل أغوى واحده محالة وهى الحذق

والقدرة فى التصرف .

(٣) مبتدأ بمعنى المقصود ، وخبره (ضعيف العصا) ، يعنى أن ذلك محل

الشاهد .

وقوله « بالضرب قد دماها » تورية حسنة^(١) ويؤكد أمرها قوله « صلب العصا » .

٣ - المطلوب بها نسبة : الثالثة المطلوب بها نسبة^(٢) كقول زياد الأعجم :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحِشْرِجِ^(٣)

فإنه حين أراد ألاَّ يُصرِّح بإثبات هذه الصفات لابن الحشر جمعها في قبة تنبيهاً بذلك على أن محلّها ذو قبة ، وجعلها مضروبةً عليه لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية^(٤) . ونظيره قولهم : « المجد بين ثوبيه ، والكرم بين بُرديه » .

قال السكاكي^(٥) : « وقد يظن هذا من قسم « زيد طويل نجاده »^(٦) وليس بذلك ؛ فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما نعرف قائم مقام طول القامة ، فإذا صرِّح من بعد بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد^(٧) ، فتأمل .

(١) لأنه يحتمل معنى قريباً وهو أن يضربها فيسيل دماها ، ومعنى بعيداً وهو جعلها كالدمى ، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق . والتورية من المحسنات البديعية الآتية في علم البديع ، وإنما أكد أمرها قوله « صلب العصا » لأنه يناسب المعنى القريب كما سيأتى في الكلام عليها .

(٢) بأن يصرِّح بالصفة ويقصد بإثباتها لشيء الكناية عن إثباتها للموصوف بها .

(٣) هو لزياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان أكن فلقب بالأعجم .

والسماحة : الجود ، والمروءة : النخوة وكمال الرجولة ، والندى : الجود والفضل والخير ، والقبة : ما كان فوق الخيمة في العظم والانتساع وهى خاصة بالرؤساء ، وابن الحشرج : هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور .

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ولا بتلك القبة من حيث ذاتها ؛ فتعين أن

تقوم به . (٥) ٢١٦ — المفتاح .

(٦) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .

(٧) فتكون الصفة هى المكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قولهم « المجد بين ثوبيه »

فهو عكسه فى ذلك ، فلا يكون مثله .

وكقول الآخر :

والمجدُّ يدعو أن يدوم لحيده عقدٌ مَساعى ابنِ العميد نظامه^(١)

فإنه شبه المجد بإنسان بديع الجمال فى ميل النفوس إليه ، وأثبت له جيداً على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثم أثبت لحيده عقدًا ترشيحًا للاستعارة ، ثم خَصَّ مَساعى ابن العميد بأنها نظامه ، فنبّه بذلك على اعتنائه خاصّة بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبّه بدعاء المجد أن يدوم لحيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به^(٢) .

وكقول أبى نواس :

فما جازهُ جوْدٌ ولا حلٌّ دونه ولكن يصير الجودُ حيث يصير^(٣)

فإنه كنى عن جميع الجود بأن نكّره^(٤) ، ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا ، وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التى تفيد العموم^(٥) ، ونظيره قولهم «مجلس فلان مَظَنَّةُ الجود والكرم» . هذا قول السكاكى^(٦) .

(١) الجيد : العنق ، والمساعى : جمع مسعاة وهى المكرمة ، ونظام العقد : ما به يكون منتظماً وهو سلكه . وابن العميد هو محمد بن الحسين .

(٢) فيكون فى البيت كنايةتان ، والمكنى عنه بهما واحد وهو اختصاص المجد بابن العميد .

(٣) قوله « جازه » بمعنى تعدّاه ، وقوله « ولا حل دونه » بمعنى أنه لم يستقر فى غير مكانه .

(٤) لأن النكرة فى سياق النفى تدل على العموم .

(٥) فيكون صدر البيت كنايةً عن عدم توزعه وتقسيمه ، وهذه كناية عن صفة ، ويكون عجزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة ، والكناية الثانية كأنها مترتبة على الأولى .

(٦) ٢٢٧ - المفتاح .

وقيل : كنى بالشرط الأول عن اتصافه بالجدود ، وبالثانى عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون كلٌّ منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة ^(١) بخلاف الثانية .

وكقولهم « مثلك لا يبخل » ، قال الزمخشري : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلخوا به طريق الكناية ؛ لأنهم إذا نفوه عمّن يسدُّ مسدده وعمّن هو على أخص أوصافه ؛ فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربى : « العرب لا تخفر الذمم » فإنه أبلغ من قولك « أنت لا تخفر » ومنه قولهم « أيفعت لداته » ، وبلغت أترابه « يريدون إيفاعه ويلوغه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(٢) على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفى التشبيه ، إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو ذاته تعالى ، فلما قال : ﴿ ليس كمثله ﴾ دل على أنه ليس له مثل ^(٣) وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، وردّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ؛ لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله ؛ تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزدي فى وصف امرأة بالعفة :

(١) لأن الذهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعه ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذي قبله يكون كلٌّ من الكنايتين كناية عن نسبة .

(٢) آية ١١ سورة الشورى .

(٣) هذه طريقة المتكلمين فى تقرير الكناية فى الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفى مثل مثله ، لزم نفى مثله ؛ لأنه لو كان له مثل لكان هو - أعنى الله تعالى - مثل مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله لئلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده . وهذا كما تقول « ليس لأخى زيد أخ » أى ليس لزيد أخ نفيّاً للملزوم بنفى لازمه . وطريقة البلغاء أن لفظ (مثل) فى الآية كلفظ (مثل) فى قولك « مثلك لا يبخل » فالمراد منها نفى المثل عن ذاته بطريق نفى المثل عمّن يكون مثله فى صفاته ؛ لأنه إذا نفى المثل عمّن يكون مثله فى صفاته لزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير الكناية على هذا الوجه واضح لا تعقيد فيه كما فى طريقة المتكلمين .

يَبِيتُ بِمَنْحَاةٍ مِنَ اللُّومِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بَيوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ (١)

فإنه نبه بنفى اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال « يَبِيت » دون (يظل) لمزيد اختصاص الليل بالفواحش ، هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكي^(٢) ، وفي الأغاني الكبير : « يحل بمنجاة » .

وقد يُظن أن هنا قسماً رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معاً ، كما يقال : « يكثر الرماد في ساحة عمرو » في الكناية عن أن عمراً مضياف ، وليس بذاك ؛ إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنياتان : إحداهما عن المضيافة ، والثانية عن إثباتها لعمرو ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ؛ فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة (٣) .

الكناية العُرْضِيَّة (التعريض بالكناية) : واعلم أن الموصوف في القسم الثاني والثالث^(٤) قد يكون مذكوراً كما مر ، وقد يكون غير مذكور ، كما تقول في عُرْض^(٥) من يؤذى المسلمين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »

(١) هو لعمرو بن مالك المعروف بالشنفرى ، والمنجاة : الباعث على النجاة وهى الخلاص ، واللوم : العتاب والذم .

(٢) ٢٠٣ - دلائل الإعجاز ، ٢١٧ - المفتاح .

(٣) هذا وأهم أقسام الكناية الثلاثة القسم الثانى والثالث ؛ لأن الكناية تتفاوت مراتبها فيهما قريباً وبعداً وظهوراً وخفاءً ، وقد بين الخطيب ذلك فى القسم الثانى لأنه أظهر منه فى الثالث ، والحق أن الثالث تتفاوت مراتب الكناية فيه أيضاً ، وقد أشار الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدة فيه ، وذلك فى قول الشاعر :

والمجدد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعى ابن العميد نظامه

(٤) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتى إلا فى هذين القسمين .

(٥) العرض : الناحية والجانب ، والمراد التعريض به .

أى ليس المؤذى مسلماً^(١) وعليه قوله تعالى فى عُرْضُ المنافقين: ﴿ هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ﴾^(٢) إذا فُسرَّ الغيب بالغيبية ، أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي ﷺ أو أصحابه رضى الله عنهم ؛ أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق .

أنواع الكناية: التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة :

وقال السكاكى^(٣) : «الكناية تتفاوت إلى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة ؛ فإن كانت عُرْضيةً فالمناسب أن تسمى تعريضاً^(٤) ، وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى « كثير الرماد » وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً ؛ لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بُعد ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزاً ؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، قال :

رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدَى هُنَاكَ كَلَامَهَا^(٥)

(١) فهو كناية عن نفى الإسلام عنه ؛ لأن حصر الإسلام فى غير المؤذى يلزمه نفية عن المؤذى وهو منه ، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث .
(٢) آية ٣، ٢ سورة البقرة . (٣) ٢١٧ - المفتاح .

(٤) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به ؛ فالكناية العرضية هى التى يكون الموصوف فيها غير مذكور ، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ، تقول « عرَّضت لفلان وبه » إذا قلتَ قولاً لغيره وأنت تعنيه ، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتى أيضاً فى الحقيقة والمجاز ، ودلالته غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة ، فإذا أتى فى الكناية كقولك « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فالمعنى الكنائى فيه نفى الإسلام عن المؤذى مطلقاً ، والمعنى التعريضى نفى الإسلام عن المؤذى المعين ، وإذا أتى فى الحقيقة كقولك تُعرَّضُ بشخص ممقوت « لست أتكلم بسوء فيمقتنى الناس » فالمعنى الحقيقى فيه غير التعريضى أيضاً ، وكذلك إذا أتى فى المجاز كما سيذكره الخطيب .

(٥) قوله « رمزت » بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل : الزوج .

والا فالمناسب أن تسمى إيماءً وإشارة ؛ كقول أبي تمام يصف إبلاً :

أَبِينَ فَمَا يَزُرُّنَ سِوَى كَرِيمٍ وَحَسْبَكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدٍ ^(١)

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف .

وكقول البحتري :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ الْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلَ ^(٢)

فإنه في إفادة أن آل طلحة أماجد ظاهرٌ .

وكقول الآخر :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يُسَقِّ إِلَّا الْكَرَامَ فَسَقَّى وَجْهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَّى دِيَارَهُمْ بِأَكْرَأَ مِنَ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُمَحِّلِ ^(٣)

وكقول الآخر :

مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ وَمُسْلِمَةٌ بَنَ عَمْرُو مِنْ تَمِيمٍ ^(٤)

ثم قال ^(٥) : « والتعريض كما يكون كنايةً قد يكون مجازاً ؛

(١) قوله « أبين » بمعنى امتنع ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغري الطائي ، ولقب بالثغري لعمله بالثغور ، والشاهد في الشطر الثاني بضميمة الشطر الأول .

(٢) الرخل : ما يُجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس ، شبه المجد برجل له رخل على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم جعل إلقاء رخله في آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٣) هما لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والباكر : البكرة وهي أول النهار ، تقول - أتيت بكرة - أي باكراً ، والممحل : المجدب . والشاهد في قوله « فسقى وجه بني حنبل » بضميمة ما قبله ، فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٤) الاستفهام في قوله « متى تخلو » للإنكار ، فيكون معناه النفي ، أي لا تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له .

(٥) ٢١٨ - المفتاح .

كقولك « آذيتنى فستعرف » وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنساناً معه ^(١) ،
وإن أردتهما جميعاً كان كناية ^(٢) .



(١) هذا مجاز مرسل علاقته اللزوم ؛ لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد كل مؤذ ، وهو يشمل من مع المخاطب ، ولا بدّ له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

(٢) لا بد لها من قرينة تدل على إرادتهما جميعاً ؛ لأن الكناية لا بد لها من قرينة أيضاً ، والحق أنهما إذا أريدا جميعاً لا يكون ذلك كناية بل يكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه ، وذلك ممنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضاً لا مجازاً ، وإنما يجتمع التعريض والمجاز فى نحو قولك تعرّض بمن كشف عورته فى حمام : « رأيت أسوداً فى حمام غير كاشفين عوراتهم » ، فلم يعب ذلك عليهم .

تمارين على الكناية

تمرين ١

وازن بين قول المتنبي في الكناية عن العفة :

إنى على شغفى بما فى خُمُرِها لأَعِفُّ عَمَّا فى سراويلاتها

وقول الشريف الرضى في الكناية عنها :

أحنُّ إلى ما يضمن الخُمُرَ والحلى وأصْدَفُ عَمَّا فى ضمانِ المآزر

تمرين ٢

(١) بين ما يُطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة في قول الشاعر :

أفاضلُ الناس أغراضٌ لَذَا الزَّمَنِ يخلو من الهمِّ أخلاهُم من الفِطَنِ

(٢) وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر » .

فقال : ما أحسن ما ورّت ! املؤوا بيتها خبزًا وسمناً ولحماً « فهل قول هذه المرأة كناية ، أو تعريض ، أو كناية وتعريض معاً ؟

تمرين ٣

(١) من أى الكنيتين القرينة والبعيدة قول الشاعر :

أريد بسطة كفٍ أستعين بها على قضاء حقوقٍ للعلَى قبلى

(٢) بين الكناية ونوعها في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ

مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ آية ٢٢٢ سورة البقرة .

تمرين ٤

(١) من أى أقسام الكناية قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ

نَفْسِهِ ﴾ آية ٢٣ سورة يوسف ، ولماذا أوثرت على التصريح باسمها أو بامرأة

العزیز ؟

(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية فى قول الشاعر :

تقول التى من بينها خَفَّ مركبى عزيزٌ علينا أن نراك تسير

تمرين ٥

(١) ما المكنى عنه؟ وما نوع كنايته فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي

الخلية وهو فى الخصام غير مبين ﴾ آية ١٨ سورة الزخرف .

(٢) بين الكناية ونوعها فى قول الشاعر :

أخو لحم أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستجد

وقد روى « أخو لحم » بالخاء المهملة .

(٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أَيُّنِى أَفَى يُمْنِ يَدَيْكَ جَعَلْتَنِى فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتَنِى فِى شِمَالِكَ

تمرين ٦

(١) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفةً بمواطن الكتمان

(٢) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

ولا زال يَبْتُ الْمُلْكِ فَوْقَكَ عَالِيًا تُشِيدُ أَطْنَابُ لَهُ وَعُمُودُ

تمرين ٧

(١) ما هى فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطلب بها موصوف وما يطلب بها

صفة وما يطلب بها نسبة ؟

(٢) ما الفرق بين دلالة الحقيقة والمجاز والكناية ودلالة التعريض ؟

وأيهما ألطف : دلالة التعريض أم دلالة الكناية ؟

(٣) هل الكناية العُرضية عين التعريض أو غيره ؟ وإذا كانت غيره فما

الفرق بينهما مع توضيحه فى مثال يجمعهما ؟

* * *

تنبیه

الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصريح :

أطبقَ البلغاءُ على أن المجاز أبلغُ من الحقيقة^(١) وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر^(٢) .

قال الشيخ عبد القاهر^(٣) : «وليس ذلك»^(٤) لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى

(١) أبلغ : أفعل تفضيل يجوز أن يكون مأخوذاً من البلاغة بمعناها اللغوية أي أفضل وأحسن ، ويجوز أن يكون مأخوذاً من المبالغة على مذهب الأخفش في جواز بناء أفعل التفضيل من الرباعي ، وهو الظاهر من كلام عبد القاهر . وقد قيل : إن المجاز المرسل لا مبالغة فيه ؛ فلا يكون أبلغ من الحقيقة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضاً إلا ما كان منه خالياً عن الفائدة .

(٢) بقيت موازنات أخرى : منها الموازنة بين المجاز والكناية . وقد قيل : إن الكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحتمل أن تكون أبلغ من الاستعارة أيضاً . وقيل : إن الاستعارة أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية . وقيل : إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية وإن الكناية أبلغ من التصريحية . ومنها الموازنة بين الاستعارة المكنية والتصريحية . وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية ؛ لأن الأولى كالجامعة بين الاستعارة والكناية ، والتصريحية محمولة على التشبيه فهي قريبة . وردَّ عليه بأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة ؛ لأنه إذا استعير للشيء ما يقرب منه كان أولى مما ليس منه في شيء ، ولو كان البعيد أحسن لما استهجنوا قول أبي نواس :

بح صوتُ المالِ مما منك يشكو ويصيح

ومنها الموازنة بين الاستعارة التمثيلية والمفردة ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من

الثانية .

(٣) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ دلائل الإعجاز .

(٤) أي كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر .

لا يفيدُه خلافه ، فليست فضيلةُ قولنا « رأيتُ أسداً » على قولنا « رأيتُ رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة » أن الأول أفاد زيادةً في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة لم يفده الثاني ، وليست فضيلة قولنا « كثير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الأول أفاد زيادةً لقراء لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني .

والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع^(١) من الملزوم إلى اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء بيينة ، ولا شك أن دعوى الشيء بيينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بيينة .

ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه وأظهر؛ فقولنا « رأيتُ أسداً » يفيد للمرئي شجاعة أتم مما يفيدُه قولنا « رأيتُ رجلاً كالأسد » لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثاني شجاعةً دون شجاعة الأسد . ويمكن أن يجاب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلاً^(٢) .

{ هذا آخر الكلام في الفن الثاني } .

(١) أي في المجاز بأقسامه والكناية .

(٢) يعني بهذا أن قول عبد القاهر « ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ » محمول على رفع الإيجاب الكلي ؛ فلا ينافي ثبوت الإيجاب الجزئي ، وحيث لا يدخل في دعواه من الاستعارة والتشبيه إلا ما كان نحو « رأيتُ أسداً ورأيتُ رجلاً هو والأسد سواء » ولا يدخل فيها منهما ما كان نحو « رأيتُ أسداً » و« رأيتُ رجلاً كالأسد » ولكن كلام عبد القاهر في دلائل الإعجاز ظاهر في أنه يعني السلب الكلي ، فيدخل فيه كل صور الاستعارة والتشبيه ، فالأحسن أن يجاب عن ذلك أن الاستعارة لم تخرج في المعنى عن كونها تشبيهاً ، فوجه الشبه فيها لا بد أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه أيضاً ، وحيث لا يكون هناك فرق بينهما إلا فيما ذكره عبد القاهر من تأكيد الإثبات وعدمه ، ولكني أرى مع هذا أن الرجال ليسوا سواء في مشابهة الأسد في الشجاعة ، وأن الاستعارة تستعمل فيمن تكون مشابهته أقوى ، والتشبيه فيمن تكون مشابهته أضعف ، وبهذا يكون الفرق بينهما في الدلالة على زيادة المعنى وضعفه أيضاً .

البلاغة والفصاحة عند السكاكي :

وذكر السكاكي^(١) بعد الفراغ منه^(٢) تفسير البلاغة بما نقلناه عنه في صدر الكتاب^(٣) ، ثم قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية ، وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعنّى بالتعقيد اللفظي على ما سبق تفسيره^(٤) ، وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال : « علامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيّتهم أدورَ واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثه المولّدون ، ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر » . فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة^(٥) ، وحصر مرجع البلاغة في الفين^(٦) ، ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشيء منهما^(٧) .

(١) ٢٢٠ - المفتاح ، وكان الأحسن تقديم هذا في الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(٢) أى من الفن الثانى ، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(٣) يعنى كتاب - الإيضاح - وقد نقله عنه في تعريفه علم المعانى .

(٤) أى فى المقدمة من الجزء الأول ، أما التعقيد المعنوى فالخلوص عنه لا يدخل عنده فى تعريف الفصاحة ، بل يدخل فى قوله فى تعريف البلاغة - وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(٥) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب ، والخلاف فى ذلك لا طائل تحته ؛ لأن كلا منهما مطلوب فى الكلام ولو لم يكن أحدهما لازم الآخر .

(٦) يعنى فن المعانى وفن البيان .

(٧) إنما لم يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة ؛ لأن الخلوص من التعقيد المعنوى لا يدخل عنده فى تعريفها ، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى .

ثم قال : « وإذ قد وقفتَ على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأتمودج آيةً أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك » ، وذكرما أورده الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرضُ ابلعي ماءك ويا سماءُ اقلعي وغيض الماءُ وقضى الأمرُ واستوتْ على الجُودى وقيل بُعداً للقوم الظالمين ﴾^(١) وزاد عليه نُكتاً لا بأس بها ، فرأيت أن أوردَ تلخيص ما ذكره جاريّاً على اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة :

قال : « أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى - أردنا أن نردّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وإن يقضى أمر نوح وهو إنجازه ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى ، وأن نُسوّى السفينة على الجُودى فاستوت ، وأبقينا الظلمةَ غرقى - بنى الكلام على تشبيه المراد منه^(٢) بالمأمور الذى لا يأتى منه لكمال هيئته العصيانُ ، وتشبيه تكوين المراد^(٣) بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود ، تصويراً لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنهم عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره ، وتحتمُّ بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظمَ الكلام فقال تعالى : ﴿ قيل ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل^(٤) ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد و هو يا أرض ويا سماء ، ثم قال : ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور^(٥) ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو إعمال الجاذبة فى المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر

(١) آية ٤٤ سورة هود .

(٢) هو الأرض والسماء ؛ لأنه أريد منهما بلع الماء والإقلاع عن المطر .

(٣) هو بلع الماء وما بعده .

(٤) فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

(٥) هى استعارة مكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

خفى^(١) واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية ؛ لتقوى الأرض بالماء فى الإنبات للزرع والأشجار ، وجعل قرينة الاستعارة لفظ (ابلعى)^(٢) لكونه موضوعاً للاستعمال فى الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره^(٣) ، ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك ، واستعار لحبس المطر الإقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ، وخاطب فى الأمرين^(٤) ترشيحاً للاستعارة ، ثم قال ﴿ وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بُعداً للقوم الظالمين ﴾ فلم يصرح بالغاىض والقاضى والمسوّى والقائل كما لم يصرح بقائل ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ سلوكاً فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور العظام^(٥) لا تتأتى إلا من ذى قدرة لا تُكتنه ، قهَّار لا يُغالب ؛ فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل^(٦) . ظلماً لأنفسهم ختم إظهار لكان السخط وجهة استحقاقهم إياه^(٧) .

وأما النظر فيها من حيث علم المعانى - وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها ، وجهة كل تقديم وتأخير بين جملها - فذلك أنه اختير « يا » دون سائر

(١) هى استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البلع - ابلعى - بمعنى غورى .
(٢) ففيه استعارة تخيلية من جهة إثبات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من جهة استعارة البلع لغور الماء فى الأرض على ما سبق من الخلاف فى الاستعارة التخيلية .

(٣) يريد أمر (ابلعى) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .
(٤) أى ﴿ ابلعى - أقلعى ﴾ ؛ فالخطاب فيهما ترشيح لاستعارة البلع للتغوير والإقلاع للحبس .

(٥) أن وما بعدها فى تأويل مصدر مجرور بحرف محذوف أى سبيل الكناية عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .

(٦) يعنى بسالكى مسلكهم : كفار قريش ومن إليهم .

(٧) هى جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

أخواتها لكونها أكثر استعمالاً ، ولدلالاتها على بُعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ، ولم يقل - يا أرض - بالكسر تحبباً لإضافة التشريف تأكيداً للتهاون ، ولم يقل « يا أيتها الأرض » للاختصار مع الاحتراز عما فى « أيتها » من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ؛ لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة^(١) . واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخف وأدور ، واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة^(٢) . واختير ﴿ ابلعى ﴾ على - ابتلعى - لكونه أخصر ، ولمجيء حظ التجانس بينه وبين ﴿ أقلعى ﴾ أوفر^(٣) ، وقيل ﴿ ماءك ﴾ بالإنفراد دون الجمع للدلالة الجمع على الاستكثار الذى يأباه مقام إظهار الكبرياء ، وهو الوجه فى إفراد الأرض والسماء ، ولم يحذف مفعول ﴿ ابلعى ﴾ لثلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم إذ بين المراد اختصر الكلام على ﴿ أقلعى ﴾ فلم يقل « أقلعى عن إرسال الماء » احترازاً عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر^(٤) وهو الوجه فى أنه لم يقل « يا أرض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت » . واختير ﴿ غيض الماء ﴾ على « غيض » المشددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقليل^(٥) ، وقيل ﴿ الماء ﴾ دون أن يقال « ماء طوفان السماء » وكذا ﴿ الأمر ﴾ دون أن يقال « أمر نوح » للاختصار ، ولم يقل « سويت على الجودى » بمعنى أقرت على نحو « قيل وغيض وقضى » فى بناء الفعل للمفعول اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله ﴿ وهى تجرى بهم ﴾ مع قصد الاختصار^(٦) . ثم قيل ﴿ بعداً للقوم ﴾ دون أن يقال « ليعبد

(١) لأن المخاطب هو الأرض وهى لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .

(٢) هى من المحسنات الآتية فى علم البديع .

(٣) لتشابههما فى الوزن العروضى وعدد الحروف .

(٤) أى من حيث ظاهر الكلام لاشتماله على ما يدل عليه .

(٥) لتشابههما فى الوزن .

(٦) لأن همزة « استوت » تسقط فى الدرَج فتكون أخصر من سويت .

القَوْمُ » طلباً للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول (بعداً) منزلة (ليعبدوا بعداً) مع إفادة أخرى وهى استعمال اللام^(١) مع بُعد الدالّ على معنى أن البعد حقّ لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هذا من حيث النظر إلى الكلام^(٢) وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل : فذلك أنه قدّم النداء على الأمر فقليل ﴿ يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى ﴾ دون أن يقال « ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء » جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ؛ ليتمكن الأمر الوارد عقبيه فى نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح^(٣) ، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة منزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله ﴿ وغيض الماء ﴾ لاتصاله بقصة الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله ﴿ وقضى الأمر ﴾ أى أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنهاء نوح ومن معه فى السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينة ، ثم ختمت القصة بما ختمت .

هذا كله نظرٌ فى الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظماً للمعانى لطيف ، وتأدية لها ملخصة مبينة ، لا تعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد ، بل ألفاظها تسابقُ معانيها ، ومعانيها تسابقُ ألفاظها .

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية : فالألفاظ على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات^(٤) ، سلسلة على الأسلات^(٥) ، كلٌّ منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة - والله أعلم .



(١) يعنى لام الجر فى قوله ﴿ بعداً للقوم ﴾ لأنها تسقط إذا قيل : ليعبد القوم .

(٢) يعنى الكلمات المفردة فى الآية .

(٣) يريد بالترشيح التهيئة للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ما سبق .

(٤) جمع عذبة وهى الطرف من كل شئ ، والمراد بها هنا رأس اللسان .

(٥) جمع أسلة وهى رأس اللسان أيضاً ، أو الطرف المستدق من جانبيه .

مباحث الجزء الثالث

الموضوع

الصفحة	الصفحة
٤٩..... تشبيه التسوية والجمع	الفن الثاني علم البيان :
• أقسام التشبيه باعتبار وجهه :	٣..... تعريف علم البيان
٥٠..... التمثيل	٤..... أقسام الدلالة
٥١..... غير التمثيل ، المجمل	٦..... أبواب علم البيان
٥٣..... الفصل	• الباب الأول : القول في التشبيه :
٥٥..... القريب المتبدل	٧..... تعريف التشبيه
٥٦..... البعيد الغريب	٧..... تأثير التشبيه
٦٣..... التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ	٩..... أسباب تأثير التشبيه
٦٤..... تحول القريب إلى بعيد	١٣..... أركان التشبيه
• أقسام التشبيه باعتبار أدواته :	١٣..... طرفا التشبيه
٦٧..... المؤكد	١٥..... وجه التشبيه
٦٨..... المرسل	الوجه الداخِل في الطــــرْفين
• أقسام التشبيه باعتبار الغرض :	١٩..... والخارج عنهما
٦٩..... المقبول - المردود	الوجه الواحد وغيره الحسى والعقلى
٧٠..... خاتمة : مراتب التشبيه	الواحد الحسى . الواحد العقلى
٧٢..... تمرينات على التشبيه	المركب الحسى
• الباب الثاني : الحقيقة والمجاز :	المركب العقلى
٧٤..... تعريف الحقيقة	دقيقة في الوجه المركب
٧٤..... تعريف الوضع	المتعدد الحسى ، المتعدد العقلى
٧٦..... إنكار الوضع ، تعريف المجاز المفرد	المتعدد المختلف ، أداة التشبيه
أقسام الحقيقة والمجاز المفرد	الغرض من التشبيه : ما يعود إلى
٧٨..... واشتقاقهما	المشبه من أغراض التشبيه
تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة	ما يعود إلى المشبه به من أغراض
المرسل وعلاقاته :	التشبيه
٧٨..... علاقة السببية والمجاورة	أقسام التشبيه باعتبار طرفيه :
٨٢..... علاقة الجزئية	تشبيه المفرد بالمفرد
٨٣..... علاقة الكلية	تشبيه المركب بالمفرد
٨٣..... علاقة السببية أيضا	تشبيه المفرد بالمركب
	تشبيه المركب بالمفرد
	التشبيه الملفوف والمفروق

الصفحة	الصفحة
الأصلية والتبعية ١١٦	علاقة المسببة ٨٤
أقسام الاستعارة باعتبار الخارج : المطلقة ١٢٠	علاقة اعتبار ما كان . علاقة اعتبار
المجردة ١٢٠	ما يكون ٨٦
المرشحة ١٢١	المحلية، علاقة الحالية، علاقة الآلية ٨٧
المجاز المركب أو التمثيل ١٢٦	المرسل الخالي عن الفائدة والمفيد ٨٨
فصل : الاستعارة المكنية والتخييلية ١٣٢	● الاستعارة التصريحية : ٩٠
فصل : اعتراضات على السكاكي : ١٣٦	الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد ٩٣
الاعتراض عليه في تعريف الحقيقة	التجريد ليس استعارة ولا تشبيها ٩٧
والمجاز ١٣٧	الاستعارة مجاز لغوي لا عقلي ٩٩
الاعتراض عليه في جعل التمثيل	التوفيق بين الادعاء في الاستعارة
من المجاز المفرد ١٣٨	والقرينة المانعة ١٠٠
الاعتراض عليه في تعريف التخييلية ١٣٨	الفرق بين الاستعارة والكذب ١٠٢
الاعتراض عليه في تعريف المكنية ١٤١	الاستعارة لا تدخل في الأعلام ١٠٢
الاعتراض عليه في رد التبعية إلى	قرينة الاستعارة ١٠٣
المكنية ١٤٢	● تقسيمات الاستعارة :
فصل : شروط حسن الاستعارة ١٤٤	أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين ١٠٤
فصل : المجاز بالحذف والزيادة ١٤٦	أقسام الاستعارة باعتبار الجامع ١٠٦
إنكار المجاز بالحذف والزيادة ١٤٧	ما يدخل جامعها في مفهوم
تمرينات على المجاز المرسل	الطرفين ١٠٦
والاستعارة ١٤٨	ما يخرج جامعها عن مفهوم
● الباب الثالث : القول في الكناية ١٥٠	الطرفين ١٠٨
تعريف الكناية ١٥٠	أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين
أقسام الكناية ١٥١	والجامع ١١٢
المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ١٥١	استعارة محسوس لمحسوس بوجه
المطلوب بها صفة ١٥٣	حسى ١١٢
المطلوب بها نسبة ١٥٨	استعارة محسوس لمحسوس بوجه
الكناية العرضية ١٦١	عقلي ١١٣
التعريض والتلويح والرمز والإيماء	استعارة محسوس لمحسوس بوجه
والإشارة ١٦٢	مختلف ١١٤
تمرينات على الكناية ١٦٥	استعارة معقول لمعقول ١١٥
تنبيه : الموازنة بين المجاز والحقيقة	استعارة محسوس لمعقول . استعارة
والكناية والتصريح ١٦٧	معقول لمحسوس ١١٦
البلاغة والفصاحة عند السكاكي ١٦٩	أقسام الاستعارة باعتبار المستعار :